

د. محمد بن العباس

التبهيل

في دراسة العقيدة الإسلامية

د. محمد عبد العزiz السير

التمهيد في دراسة العقيدة الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٩ - ١٩٩٨ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

دار الطباعة المحمدية
٢ دير بدران بالدير الفادع

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ..

أما بعد :

ففي عام (١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) صدر لي كتاب «في نور العقيدة الإسلامية» يضم أربعينات صفحة تقريراً، ويسيطر الله له القبول وقت بتدريسي في جامعة الأزهر، والمهد العالمي للدراسات الإسلامية، وقرارته وزارة الأوقاف تدريسي في مراكز إعداد الدعاة على مستوى الجمهورية..

وأصدر الإمام الراحل فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق أمراً مباشراً بتوظيفه من هذا الكتاب لتوزيعها على أئمة العالم الإسلامي في دوراتهم التدريبية التي يعقدها لجنة الأزهر الشريف ..

ثم شاء الله تعالى أن أذهب معاراً إلى جامعة أم القرى بعكة المكرمة عام (١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) فدرسته هناك للطلاب والطالبات ..

وكان الكتاب في كل هذه المراحل يصور بقدر الحاجة بعدها نفذت طبعته الأولى ..

ورغب إلى بعض الأصدقاء أن أخرج الكتاب في طبعة جديدة فاستعن باقة وأعدت النظر فإذا بآبحاث تفتح ، ومسائل تضاف ، وموضوعات تستكمل ، وأفكار تتواال ، وآراء تتجدد ..

وكان فضل الله كبيراً ب glamat الدراسات في شكلها الجديد على أربعة أجزاء ، هي :

١ - التهيد في دراسة العقيدة الإسلامية .

٢ - الإلهيات في العقيدة الإسلامية .

٣ - النبوات في العقيدة الإسلامية .

٤ - السمعيات في العقيدة الإسلامية .

وليسح لـ القارئ الكريم أن أقدم له الجزء الأول ، فقد جاء
بتوفيق الله - متضمنا خمسة مباحث ، على النحو التالي :

المبحث الأول :

بيان يد الموضع

قدمت بيان أهمية دراسة العقيدة ، والباحث التي يقوم عليها هذا
العلم ، والاسماء التي تطلق عليه ..
وأكملت أن دراسة العقيدة هي أول الواجبات لدى الإنسان العاقل ،
 وأن عقيدة المرء هي ميزان سلوكه وأخلاقه ، وأن الواقع الديني هو
معيار الاستقامة في هذه الحياة .

المبحث الثاني :

نشأة علم العقيدة وتطوره

وتقسم هذه النشأة في ذلك التطور إلى مراحل هي :

١ - مرحلة العهد النبوي .

٢ - مرحلة الصراع العسكري .

٣ - مرحلة الصراع السياسي .

٤ - مرحلة الصراع الفكري .

٥ - مرحلة العصر الحديث .

وختتم بكلمة هامسة في أذن كل داعية بأن لا يعيي بعضاً على بعض في إطار ضوابط الاجتهاد ومعالم الفكر الراشد.

ونتيجت إلى أن الخطأ الذي يتهدد العقيدة الإسلامية اليوم ليس من داخل الفرق الإسلامية، وإنما من التيارات الواهفة والمذاهب المدamaة، الواهدة التي تسرى مع الماء، وتشكل حسب الظروف والأحوال، ويتمثل ذلك في الثالوث الحديث :

- الخطأ الصهيوني .
- الفكر المادي .
- اليسار الإسلامي المزعوم .

وقد أفرج هذا الثالوث الانحلال الخلقي وعبادة الشيطان ..

المبحث الثالث :

الإسلام وتقدير العقائد

قدمت منهج الإسلام في تقدير العقائد من خلال شرح هذه الموضوعات :

- المعجزة العقلية لسيدنا محمد ﷺ .
- أصول التفكير في القرآن المجيد .
- المعرفة والتقليد لدى علماء المسلمين .
- مصادر العقيدة في الإسلام .
- الحكم وأنواعه .

وظهر بهلاء أن القرآن المجيد فر عقائد الإيمان كلها مدعاة بالمحنة والبرهان ، وأن الشعار الذي رفعه القرآن في حجاجه مع الخالفين هو :

«قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»^(١).

وبيّنت أن العقيدة يحكمها العقل، ويصحح مسارها الوحي، وأن مسألة الإيمان والكفر ترتبط بما كان قطعى الثبوت والدلالة معاً، فإن فقد القطع في أحد مما فليس هناك عقيدة يترتب عليها الإيمان والكفر ..

المبحث الرابع :

خصائص العقيدة الإسلامية

إن العقيدة الإسلامية تتلخص في كليتين اثنتين هما :

لا إله إلا الله ، محمد رسول الله

وهذه العقيدة من الوضوح واليسر ، ومن العمق والحكمة ، ومن الصدق والحق ما يجعلها تسرى في كيان الإنسان سريان الدم في العروق، وتتناغل في أعقابه فتستقر في قرار مكين من عقله وقلبه ..

فهي صوت الفطرة ، ودعة الآباء ، والدين الخالص لله ...

المبحث الخامس :

قراءة في كتب العقيدة

وقد اختارت نماذج أربعة هي :

١ - التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل
للإمام ابن خزيمة المتوفى ٣١١ هـ

٢ - المواقف في علم الكلام ..
للإمام عضد الدين الإيجي المتوفى ٧٥٦ هـ

(١) مسوّرة الغل الأبية ٦٤

٣ - شرح العقيدة الطحاوية
للشيخ ابن أبي العز الدمشقي المتوفى ٧٩٢هـ

٤ - رسالة التوحيد
للإمام محمد عبده المتوفى ١٣٢٣هـ

وكان النموذج الأول تمثيلاً للاتجاه النصي، وكان الثاني تمثيلاً للاتجاه السكالى، وكان الثالث تمثيلاً للاتجاه التوفيق بين النصي والسكالى و كان الرابع تمثيلاً للاتجاه الحديث الذى يسعى إلى التقارب بين المذاهب الإسلامية ..

ولعل في هذا التمهيد مايفتح آفاقاً جديدة للبحث والدراسة حول العقيدة الإسلامية ..

« وينا لاتراغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »^(١).

مكة المكرمة ف ٢٠ من ربى ١٤١٨هـ
٢٠ من نوفمبر ١٩٩٧ م أبو حذيفة
د. محمد سعيد أحد المسير
أستاذ العقيدة والفلسفة
جامعة الأزهر بالقاهرة
و جامعة أم القرى بمكة المكرمة

المبحث الأول

بين يدي الموضوع

- أهمية دراسة علم العقيدة
- مباحث علم العقيدة
- أسئلة علم العقيدة

أهمية دراسة علم العقيدة

إن دراسة العقيدة هي أول الواجبات لدى الإنسان العاقل ، فليس بالجبن وحده يعيش الإنسان ، وعقيدة المرء هي ميزان سلوكه وأخلاقه ، والوازع الديني هو معيار الاستقامة في هذه الحياة .

وإن نقطة البدء في كل حضارة هي العقيدة التي تحدد المدف وتحكم السلوك وتوجه المسيرة .

وقد ذكر علماً نا رضي الله عنه في مفتاح دراساتهم عن العقيدة الإسلامية الفائدة المرجوة من هذه الدراسة .. وقال عضد الدين الإيجي وهي أمور :

الأول : الترق من حضيض التقليد إلى ذروة الإيمان «يرفع آفاق الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» .

الثاني : إرشاد المسترشدين بإيقاض الحجۃ والإزام المعاندين بإقامة الحجۃ ..

الثالث : حفظ قواعد الدين من أن تزلزلها شبه المبطلين .

الرابع : أن تبني عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها ، وإليه ينرول أخذها واقتباسها .

الخامس : صحة النية والاعتقاد . إذ بها يرجى قبول العمل ، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين ^(١) .

(١) المواقف ص ٨ ط بيروت .

ولتفصيل ذلك نقول :

١ — العلم باقه تعالى أشرف العلوم :

ميز الله تعالى الإنسان بالعقل وكرمه بالدين وأعلى درجته بالعلم ، والإنسان جسم وروح ، وغذاء الجسم فيها قدر الله على الأرض من أقوات ، وغذاء الروح فيها شرع الله من هدى وما أنزل من وحي .

وإذا كان الإنسان يسعى في مناكب الأرض يتمنى فضل الله في الرزق فواجب عليه أن يفكري ويتأمل ليدرك صنع الله الذي أتقن كل شيء وليصل إلى حقيقة الحقائق وكبرى اليقينيات وهي أنه لا إله إلا الله ...

فإيمان القائم على العلم هو الذي يسمى بالإنسان ويرقي به إلى السكرامة الحقيقة ، وينفعه الوجود المتميز عن سائر الخلوقات .

وقد أعلى الله منزلة العلماء فقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة فقال : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم » (١) .

وخص الله العلماء بالخشية فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » (٢) فعل قدر معرفة الإنسان بربه تكون خشি�ته منه سبحانه .

وميز القرآن أهل العلم فقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين آتوا العلم درجات » (٣) .

وجاءت الأحاديث الشريفة على هذا التوالي فجعلت الفقه في الدين

(١) سورة آل عمران — الآية ١٨

(٢) سورة فاطر — الآية ٢٨

(٣) سورة المجادلة — الآية ١١

من أجل النعم على عباد الله ، فقال النبي ﷺ : « من برد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

وتحمل الرسول - عليه الصلاة والسلام - العلم مجالاً للتناقض الشريفي
فقال : « لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في
الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعملها » .

ومن هنا كان طلب العلم فريضة ، وكان طالب العلم معاناً من الله ، فمن
أن الدرداء ورضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك
طريقاً يلتمس فيه علمآً سهل آله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتصنع
أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ... » .

وقبة العلم وذروة سنامه ما يتصل بالله جل جلاله ; والأنبية عليهم
الصلاوة والسلام ، واليوم الآخر وما فيه من حساب وسؤال وجنة ونار ،
وشرف العلوم بشرف موضوعاتها .. فالله أعلى وأجل .

٢ - بيان العقيدة الصحيحة وإقامة الحججة عليها :

يتتحمل المسلم عقيدته لنفسه ولغيره ، فهو يؤمن بها عن علم ويبلهاعن
 بصيرة ، فالإسلام دعوة عالمية تواجه المقاديد المختلفة والمذاهب المتباعدة .

وعلم العقيدة تأكيد أهميته في جانبي :

- ١ - بناء عقيدة المسلم وتوضيح جوانبها وبيان محاسنها .
- ٢ - إقامة الحججة على المخالفين ، وذلك بأن يقوم العلماء بدراسة
العقائد المختلفة الفاسدة لبيان ذيفتها وإبطال مضمونها ، وتقديم العقيدة
الإسلامية مؤيدة بالدليل مدعمة بالبرهان حتى يستطيع الناس تصحيح
عقائدهم وتنقطع أغذارهم .

فإن ألقه تعالى قدر بطي التكليف ببعثة الرسل وبلغ الدعوة على وجهها الصحيح .. فقال جل شأنه : «وما كنا نعذب من حتى نبعث رسولاً»^(١).
وقال سبحانه : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل»^(٢).

٣ - مواجهة شبهات المبطلين :

ونحن نواجه طوائف البشر في عقائدهم الفاسدة ، ونقدم لهم عقيدة الفطرة الندية لن يدعنا شياطين الإنس دون شبّهات وأباطيل في حالات يائسة لصد الدعوة والوقف في وجهها .

ولهذا يتأنى كد على العالم المسلم أن يتهيأ لرد الشبهات وحفظ قراء الدين من أن تزلّوها أباطيل الأعداء .

وقد يتوجه البعض من الخوض في الشبهات بحججه [فسادها للعقائد ، وأن الفتنة نامية ولمن ألقه من أيقظها ، ولكن واجب حراس العقيدة وعلماء الدين أن يواجهوا هذه الشبهات ويزيلوها بالبيانات حتى لا تسري في الظلام وتتسرب إلى عقول العامة وقلوب الناشئة ، فلكل مقام مقال ...]

٤ - علم العقيدة أساس العلوم الشرعية :

القرآن المجيد محفوظ في الصدور ، مدون في السطور ، متواتر في النقل إلى أن يرى الله الأرض ومن عليها ، وهيأ الله لسنة نبيه ﷺ من دونها وحفظها ، ونشأت العلوم الشرعية حوله الكتاب والشنة تفسيرًا وشرحا واستنباطاً ، وتوأكبت علوم كثيرة لخدمة العلوم الشرعية كعلوم اللغة العربية وآدابها .

(١) سورة الإسراء الآية ١٥

(٢) سورة النساء الآية ١٦٥

وحرص المسلم على دراسة كل هذه العلوم الأصلية والفرعية انتلاقاً من الأمر الإلهي الأول : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» .

لكن هذه العلوم الشرعية إنما تتقبل بناء على صدق العقيدة في أن القرآن كلام الله وأن الحديث كلام رسول الله وأن أحكام الفقه مستنبطة من الوحي المنزلي .

فلا تفسير بغير عقيدة أن الله هو الذي نزل القرآن ، ولا حديث بغير عقيدة أن محمدًا رسول الله ، ولا عبادات ومعاملات بغير عقيدة أن المعبود بحق هو الله جل جلاله .. فمعرفة المعبود بالجلال والكمال مقدمة معرفة العبادة بالشروط والأحكام .

٥ — العقيدة وإخلاص النية :

إن الأخلاق والعبادات والمعاملات وأفعال الخير كلها وخصال المعرف بأجمعه إنما يثاب عليها المرء في الآخرة وتقبل منه عند الله حزوجل إذا انطلقت من إيمان صحيح وقامت على عقيدة صادقة ، ودفع إليها يقين بلقاء الله .

فلا عمل بغير إيمان .
والنية هي مدار صحة العمل .

والإخلاص هو أساس القبول .

قال الله تعالى : «وما أرسوا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتون الزكوة وذلك دين القيمة» ^(١) .

وقال جل شأنه : «لأنه في كثير من نجواتهم إلا من أرس بصدقه أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف تؤتيه أجرًا عظيما» ^(٢) .

(١) سورة البينة : الآية ٥

(٢) سورة النساء : الآية ١١٤

وأكَدَ القرآن المجيد أنَّ أَعْمَالَ الْكَافِرِينَ مُرْدُودَةٌ عَلَيْهِمْ وَلَا ثُوابٌ لَّهُمْ عَنْهَا فَقَالَ: «وَقَدْمَنَا إِلَى مَا هَبَّا مِنْ عَمَلٍ فَعَلَانِاهُ هَبَاءً مُّشَوِّداً»^(١).

ويُيلُ في معنى المباء المنشور أنه شعاع الشمس إذا دخل الكوة، أو ورق الشجر اليابس إذا ذرته الريح، أو الرماد، وقال الإمام ابن كثير في تفسيره: وحاصل هذه الآقوال التي على مضمون الآية وذلك أنهم عملوا أفعالاً اعتقدوا أنها على شيء، فلما عرضت على الملك الحكيم العدل الذي لا يجوز ولا يظلم أحداً إذا هي لا شيء بالكلية، وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية.

وقد تذكر هذا المعنى في أكثر من آية فقال جل شأنه: «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَمَادٌ اشْتَدَتْ بِهِ الْرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ عَمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ»^(٢).

وفي تشبيه آخر بلغ يقوله سبحانه وتعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّلَامُ أَنَّ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ أَنَّهُ عَنْهُ فَوَقَاهُ حَسَابٌ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظِيلَاتٍ فِي بَحْرٍ لَّهِيَ بِفَشَاهٍ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقُ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلْ اللَّهَ لَهُ نُورًا فَالَّذِي مِنْ نُورٍ»^(٣).

والسراب هو ما يرى في الفلاة وقت شدة الحر أنه الماء الجارى فإذا قرب منه الناظر لم يجد شيئاً.

والحقيقة هي الأرض المستوية المنبسطة وفيها يكون السراب.

(١) سورة الفرقان — الآية ٤٣

(٢) سورة Ibrahim — الآية ١٨

(٣) سورة النور — الآية ٤٠

وأعمال الكافرين نوعان: نوع يفعله الكافر يحسبه خيراً كصلة رحم وإغاثة ملحوظ وهذا هو الذي يشبه بالسراب.

ونوع يفعله الكافر من سلوكيات الإثم والفحش وهذا هو الذي يشبه بالظلمات بعضها فوق بعض .. فظلة السلوك مع ظلة الاعتقاد أطبقت على الكافر خسر الدنيا والآخرة.

وجاء في صحيح الحديث ما يؤكّد هذا المعنى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرئ الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيمة ؟ فقال : لا إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خططي يوم الدين .

وروى الإمام أحمد أن عدی بن حاتم الطائی قال : يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم ، ويفعل وي فعل ، فهل له في ذلك ؟ يعني من أجر ، قال عليه الصلاة والسلام « إن أباك طلب شيئاً فأصابه » ، وفي رواية : إن أباك أراد أمراً فأدركه .. يعني الله ذكره .

إن إخلاص النية وصححة العمل من بعثه بصدق العقيدة وصفاء القلب الموصول باقه عز وجل .. وإن يتتحقق ذلك إلا بعلم العقيدة ومعرفة أصوله الدين ولماذا جاء في صحيح الحديث : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

فسعادة الدنيا والآخرة من هدنة بالإيمان والعمل الصالح .

* * *

مباحث علم العقيدة

مباحث علم العقيدة تنظم أموراً جوهرية هي :

- ١ - الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته المقدسة.
- ٢ - الإيمان بالملائكة الكرام البررة الذين لا يعصون الله ما أمرهم وي فعلون ما يؤمرون.
- ٣ - الإيمان بالكتب المنزلة لهداية البشر وليقوم الناس بالقسط.
- ٤ - الإيمان بالرسول والأنبياء الذين أصطفاه الله من خلقه مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسول.
- ٥ - الإيمان باليوم الآخر ، يوم الفصل بين الناس ، حين يقومون لرب العالمين ، وتتجدد كل نفس ما قدمت وأخرت.

وقد اصطلاح العلماء على تقسيم هذه الأمور إلى مباحث ثلاثة هي :

الإلهيات :

ويتعلق بها ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى ، وترتبط بها أبحاث تتعلق بالقضاء والقدر والحسن والقبح والصلاح والأصلح والجبر والاختيار.

النبوات :

ويتعلق بها ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وترتبط بها أبحاث تتعلق بالمعجزات والكرامات وخرارق العادات المختلفة .

السمعيات :

وهي الأمور التي تتعلق بالسماع من المقصود، وتدخل في دائرة الجواز العقل، وتدور حول الملائكة والجن والبعث والشفاعة والميزان والمراد والجنة والنار.

وكثير من هذه المباحث ليس عقيدة يتوقف عليها الإيمان والكفر، فهي أمور اجتهادية، يجوز فيها الخلاف، وتتعدد حولها الآراء، بناء على وضوح الدليل وصفاء الفهم، وقوة التأمل، وحسن النية ...

فوضوع الصفات والتأويل فيها أو التفويف.

وموضوع رقية المؤمنين لربهم في الآخرة.

وموضوع الفرق بين النبي والرسول.

وموضوع التفاضل بين الأنبياء والملائكة.

وموضوع الشفاعة لأهل الكبار في الآخرة.

وموضوع حقيقة الوزن والميزان يوم الحساب.

وموضوعات عدة مشابهة يحوز فيها الاجتهاد وتعدد الآراء، وهي أمور ملحقة بالعقيدة كعلم وليس من صلب العقيدة كدين .. فإن العقيدة حددها الله تعالى في قوله :

«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربِّه والمؤمنون ، كلَّ آمن بما فِي
وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحدٍ من رسله ، وقالوا سمعنا
وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير »^(١).

وبينها الرسول ﷺ في حديث جبريل الشهور، عندما جلس إلى النبي الكريم وسأله : ما الإسلام؟ قال عليه الصلاة والسلام :

الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتحمي الوكالة وتصوم رمضان وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

ثم سأله عن الإيمان فقال عليه الصلاة والسلام : أن تؤمن بأله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتومن بالقدر خيره وشره، ثم سأله عن الإحسان فقال عليه الصلاة والسلام : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك...^(١).

هذا وهناك اتجاه ينتمي إلى السلف يدرس العقيدة على أساس تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

١ - توحيد الربوبية ويعني الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء وما لا يرى ، وأنه سبحانه الخالق المدبر .

٢ - توحيد الأسماء والصفات ويعني الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصفه به رسوله ، وإثباته على وجه يليق به سبحانه تعالى .

٣ - توحيد الألوهية ويعني إفراد الله تعالى بالعبادة .

ويرى كثيرون أصحاب هذا الاتجاه على توحيد الألوهية ويرونه متضمنا للنوعين السابقيين ، ويفوضون الطرف عن توحيد الربوبية بدعوى أنه مركوز في الفطرة وأن نقايضه معلوم الامتناع عند الناس كلام .

ومن ثم تقوم دراساتهم في العقيدة على مسألة الصفات الخبرية ويبيان الشرك في الدعاء والذبح والذذر والرق والتائمة والسحر والحلف بغير الله والتوسل وزياراة القبور .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا « الحوار بين الجماعات الإسلامية ».

ومع أنه لا مشاحة في الاصطلاح إلا أن هذا التقسيم لا ضرورة له
ولا تسانده دلالة لغوية أو شرعية، فالتفرقـة بين توحيد الوبـوية وتـوحـيد
الـأـلوـهـيـة تـفرقـة مـصـطـنـعـة، وـقـد وـرـدـ الـبـيـانـ الـقـرـآنـ يـاـسـتـخـدـامـ لـفـظـ الـرـبـ
وـإـلـهـ فـيـ مـعـانـ وـاحـدـةـ تـشـمـلـ إـلـفـارـ وـالـعـبـادـةـ مـعـاـ ...

• فقال يوسف عليه السلام: « ياصاحبي السجن أرباب متفرقون خير
آم الله الواحد القهار »^(١).

فعبر أولاً بالأرباب وهي جمع « رب »، وعبر ثانياً بالفظ الجلاله « الله »
في إطار معنى واحد هو نفي الشرك والتعدد وضرورة إفراد الله تعالى
بالعبادة .

• وأمر القرآن يتقوى الله وتقوى الرب في إطار معنى واحد هو
إخلاص العبادة لله فقال: « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة »^(٢).

وقال: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقائه .. »^(٣).

• وجاء الأمر القرآنى بعبادة الرب وبعبادة الله بلا تفرقـة في المعنى
للمراد منها فقال: « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم .. »^(٤).

وقال: « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً »^(٥).

• وتوجه القرآن بالأمر إلى الرسول ﷺ بعبادة الرب وبعبادة الله،
وهذا يعني اتحاد المعنى في لفظي الرب والله .

(١) سورة يوسف - الآية ٣٩ . (٢) سورة النساء - الآية ١

(٣) سورةآل عمران - الآية ١٠٢

(٤) سورة البقرة - الآية ٢١ . (٥) سورة النساء - الآية ٣٦

فقال: «قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مأب»^(١).

وقال: «إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة ، الذي حرمها ، وله كل شيء ، وأمرت أن أكون من المسلمين»^(٢).

• ووصف القرآن الرب بأنه الخالق المدبر المالك المترعرف ، ووصف الله بنفس هذه المعانى ..

فقال: «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتفقون ، الذي جعل لكم الأرض فرائشا ، والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثارات رزقا لكم ، فلا تجعلوا الله أندادا وأنتم تعلمون»^(٣).

فقد بدأ النص هنا بالحديث عن الرب وختم بالحديث عن الله ، وتذكر ذلك في القرآن كثيرا ، ولنقرأ هذه الآيات :

«قل من الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟
سيقولون الله ، قل أفلأ تذكرون ؟

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟
سيقولون الله ، قل أفلأ تتفقون ؟

قل من يده ملائكة كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟

سيقولون الله ، قل فأني تسحرون ؟»^(٤) :

• وخص القرآن علم الساعة باقة وبالرب ، وجعل ميقاتها مقصورة

(١) سورة الرعد - الآية ٣٦ (٢) سورة النمل - الآية ٩١

(٣) سورة البقرة - الآية ٢١ ، ٢٢

(٤) سورة المؤمنون - الآية ٨٤ : ٨٩

عليه سبحانه ، بلا تفرقة بين لفظي الرب والله ، فكلامها يعبر عن معنى التفرد بالعلم والاستئثار بالغيب .

قال جل شأنه : « أَلَوْنَكُ عنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مِرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي
لَا يَجِدُهَا لَوْقَهَا إِلَّا هُوَ ، ثَقَلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بِعَنْتَهُ
يَسْأَلُونَكُ كَأَنَّكُ حَقٌّ عَنْهَا ، قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَلَكُنْ أَكْثَرُ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ » ^(١) .

◦ وأضاف القرآن جمع الخلق وحشرهم للحساب والجزاء إلى رب
إلى الله ..

فقال : « إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْعَلُنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ
أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا » ^(٢) .

وقال : « قُلْ يَجْعَلُ بَيْنَنَا وَبَنَّا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَاحُ الْعَلِيمُ » ^(٣) .

◦ وجاء التعبير القرآني على لسان فرعون بوحدة المعنى في لفظي
الرب والإله ، فقال : « وَقَالَ فَرَعُوْنَ يَا أَيُّهَا الْمَلَائِكَةُ مَا أَعْلَمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرِي » ^(٤) .

وقال : « فَخَسَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » ^(٥) .

فلم يكن فرعون يدعى لنفسه شركاً في السموات ولا في الأرض ، ولم
يزعم أنه خلق نفسه أو خلق أحداً من البشر .. وإنما أراد فرعون بالتعبير
في الموقفين استحقاقه للطاعة واستحقاقه بقومه وسلطه عليهم ..

• • •

(١) سورة الأعراف - الآية ١٨٧

(٢) سورة النساء - الآية ٧٨ (٣) سورة سباء - الآية ٣٧

(٤) سورة القصص - الآية ٣٨ (٥) سورة النازعات - الآية ٣٤، ٣٣

إن عقيدة المسلم في الرب هي عينها عقيدة في الله ، فالرب هو المستحق للعبادة والله هو الخالق الباري ، المصور ، وبالعكس وصدق الله حيث يقول :

« إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار يطلبه حيثما ، والشمس والقمر والنجموم مسخرات بأمره ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين »^(١) .

وأياماً كان ، فلكل منهجه في البحث والدراسة مع اتفاق الجميع على التوحيد الخالص لله تعالى ذاتاً وصفةً وفعلاً .

فإله تعالى واحدٌ أحدٌ في ذاته بلا شريك أو صاحبة أو ولد .
وهو سبحانه واحدٌ أحدٌ في صفاتِه ولا يشبه أحداً من خلقه
ولا يشبه أحداً .

وهو جل شأنه واحدٌ أحدٌ في فعله ، له الخلق والأمر ، فما لـم ي يريد .

(١) سورة الأعراف - الآية ٥٤

أسماء علم العقيدة

هذه المerasات في الإلهيات والنبوات والسمعيات تتضمن تحت علم خاص يسمى بأسماء متعددة، أهمها:

١ - علم التوحيد:

وسمى بذلك لأن مبحث الوحدانية أشهر مباحثه، والتوحيد هو مرکز الدائرة في رسالات الله جل جلاله إلى الخلق، قال تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إله لا إله إلا أنا فاهبون»^(١).

ومن المؤلفات تحت هذا الاسم:

- كتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي ت ٣٣٣
- جواهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم بن هارون الملقاني ت ١٠٤١

وهي منظومة حظيت بشرح وحواش وتعليقات.

ويقوله ناظمها في مفتتحها:

الحمد لله على صلاته	ثم سلام الله مع صلاته
علىنبي جاء بالتوحيد	وقد عوى الدين عن التوحيد
فارشد الخلق الدين الحق	بسيفه وهديه للحق
محمد العاقب لرسول ربه	وآله ومحبته وحربه
وبعد فالعلم بأصل الدين	محتم بحتاج للتبيين

(١) سورة الأنبياء - الآية ٢٥

لَكُنْ مِنَ التَّطْوِيلِ كَاتِبُ الْمُمْمَٰٓ
فَصَارَ فِيهِ الْأَخْتَصَارُ مَلْزَمًا
وَهَذِهِ أَرْجُوْذَةُ لِقَبْتِهَا
جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ، قَدْ هَذَبَهَا
وَاهَ أَرْجُو فِي الْقَبْوَلِ نَافِعًا
بَهَا مَرِيدًا، فِي التَّوَابِ طَامِعًا

- رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ت ١٣٢٣ هـ
- كتاب التوحيد الذي هو حق اهله على العبيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمي ت ١٢٠٦ هـ

٢ - علم الكلام :

قال صاحب المواقف « وإنما كلاماً إما لأنَّه يازاء المنطق لل فلاسفة، أو لأنَّ أبوابه عنونت أولاً بالكلام في كذا، أو لأنَّ مسألة الكلام أشهر أجزاءه حتى كثُرَ فيه التناحر والسفك فقلب عليه، أو لأنَّه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات و مم الخصم »^(١).

ومن المؤلفات تحت هذا الاسم :

- نهاية الأقدام في علم الكلام للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهريستاني ت ٥٤٨ هـ
- غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الأعمى ت ٦٣١ هـ
- المواقف في علم الكلام لعبد الدين الإيجي ت ٧٥٦ هـ

...

(١) المواقف لعبد الدين الإيجي ص ٨ ط بيروت .

٣ - علم أصول الدين:

فيباحث هذا العلم هى أصول الدين وقاعدته ، فلا عمل بغير إيمان ،
ولا أخلاق بغير حقيبة .

وقد تكون هذه التسمية في مقابلة علم أصول الفقه المتعلق باستبط
الأحكام العملية من مظانها الشرعية ..

ومن المؤلفات تحت هذا الاسم :

- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري ت ٣٣٠
- أصول الدين للإمام أبي منصور عبد القاهر البغدادي ت ٤٢٩
- الأربعين في أصول الدين للإمام نصر الدين الرازي ت ٦٠٦
- أبكار الأفكار في أصول الدين لسيف الدين الأدمي ت ٦٣١

٤ - علم الفقه الأكبر :

الفقه هو لفهم ، وأكبر الفهم وأفضله وأعمقه ما توجه إلى الملا الأعلى
والذات الأقدس والوحى الإلهي الأسمى ..

وهذه التسمية في مقابلة الفقه الأصغر ، الذى هو فقه العبادات
والمعاملات ، فلا عبادة إلا بعد معرفة المعبود الحق ، ولا معاملة إلا بمعرفة
منهج الله الذى أنزله على رسوله ..

ومن الكتب التي تحمل هذا العنوان كتاب « الفقه الأكبر »^(١)

(١) وهو متن يقع في ست صفحات تقريباً ، ويشکل البعض في نسبة
إلى ابن حنيفة

لابي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ت - ١٥٠ هـ وقد شرحت الملا على
القاري ت ١٠١٤ هـ.

كما شرحت أحمد بن محمد المخنطسي ت ١٠٩٠ هـ

هـ - حمل العقيدة :

وهي الأمور التي تعتقد بالقلب، وتصدق بالجتنان، ويطمئن إليها
الفؤاد، وترسخ في الأعماق بحيث تشاقق الروح وتوارثها، ويصر عليها
المرء إصراراً كاملاً، ويقتنع بها اقتناعاً تاماً..

ومن المؤلفات التي تحمل اسم العقيدة:

كتب تنسّب العقيدة إلى مؤلفها مثل :

* العقيدة الطحاوية لابي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي
الطحاوي [نسبة إلى طحا بصعيد مصر] ت ٣٢١ هـ

* العقائد العضدية لمحمد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشيرازي
المتوفى ٧٥٦ هـ

* العقائد النسفية لعمر بن محمد النسفي [ت ٥٣٧ هـ].

* العقيدة الأصفهانية لشمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني المولود
سنة ٦١٦ هـ بأصفهان والمتوفى سنة ٦٨٨ هـ بالقاهرة، وقد شرحتها الإمام
بن تيمية وخالف مؤلفها في بعض المقاصد ..

وكتب تنسّب العقيدة إلى بلاد سألت عنها مثل :

* العقيدة الواسطية: نسبة إلى بلدة واسط ، يقال إن رجلاً منها سأله
الإمام ابن تيمية أن يكتب له عقيدة تكون عدة له ولأمل بيته ..

وقيل لأن المؤلف ذكر فيها أن أهل السنة وسط بين فرق الضلال من هذه الأمة.

وكتب قلسب العقيدة إلى فرقة من الفرق مثل :

• شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي القاسم عبد الله ابن الحسن بن منصور الطبرى الالستكاني ت ٤١٨ .

• • •

المبحث الثاني

نشأة علم العقيدة وتطوره

- مرحلة العهد النبوي
- مرحلة الصراع العسكري
- مرحلة الصراع السياسي
- مرحلة الصراع الفكري
- مرحلة العصر الحديث :
 - الاتجاه الأشعري
 - الاتجاه السلفي
 - الاتجاه الاعتزالي
 - كليةأخيرة

نشأة علم العقيدة

وتطوره

١ — مرحلة العهد النبوى :

لا يكمل عقل الإنسان إلا بالإيمان بخالقه ومبدع الكون والحكايات،
ولا تتحقق سعادة البشر إلا بالولاء لمخرج الوحي الإلهي الذي جات به
الرسول « ليقوم الناس بالقسط ».

والإنسان بطبيعته متسائل « وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً »، فهو
يتطلع إلى معرفة الغيب، وإلى علم الأسباب والمبنيات، وإلى اكتشاف
الجميل، والسعى لاكتساب المعرفة بكل شيء.

وعندما أشرقت الأرض بنور ربها وجاء الوحي المحمدي كانت الكلمة
الأولى التي هي مفتاح السعادة وعيار الإيمان — هي كلمة التوحيد « لا إله
إلا الله، محمد رسول الله ».

وافتتح القرآن المجيد بآيات تدعوا إلى العلم والمعرفة باسم رب الذي
أبدع وعلم، وأحكم وأتقن، وبث دلائل الأنفس والأفاق، فقال: « إقرأ
باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم
الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم »^(١).

وتواتت العقائد في النبوة والوحى، والبعث والحضر، والحساب
والجزاء، والجنة والنار، مدعومة بأدلتها العقلية، تخرج من مشكاة النبوة
نوراً على نور.

(١) سورة العلق — الآية ١٥:

(٣ — التهـيد)

ووقف الناس متسائلين عن بدء الخلق ، ومصير الكون ، وعلاقة الإنسان بخالقه ، وتلقاءه الرسول ﷺ بما يشرح الصدر ويقيم الحجة ويقطع دابر الشبهة .

وعلى سبيل المثال فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال :

دخلت على النبي ﷺ ، وعلقت ناقتي بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : أقبلوا البشري يا بنى تميم ، قالوا : قد بشرتنا فأعطيتنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : أقبلوا البشري يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم .

قالوا : قد قبلنا يا رسول الله .. جئناك عن هذا الأمر ..

قال : كان الله ولم يكن شيء غيره .

وكان عرشه على الماء .

وكتب في الله كر كل شيء .

وخلق السموات والأرض .

قال عمران : « فنادى مناد ، ذهبت ناقتك يا بن الحسين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب ، فواه لوددت أني كنت تركتها .. » .

ففي هذا الحديث يقص عمران بن حسین مشهدًا في حضرة النبي ﷺ ، لقد دخل عليه بنو تميم فقال لهم : أقبلوا البشري أي همروا أعلمكم عملا صالحا يصل بكم إلى الجنة ويتحقق لكم السعادة الأبدية ، لكن القوم ظنوا البشري مأكل ومشارب وأموالا فطلبوا العطاء العاجل وألحوا في سؤاله .

وفي هذه الآيات دخل قوم آخر ورون من أهل اليمن جاءوا من أجل المدف السامي ومعرفة الوجود الأعلى والاستقامة على الحق ، فبدأ الرسول ﷺ يشرح لهم الحق ، ويبيّن لهم بدء الخلق ، ويجيب على تساؤلات القوم .

وقى برأه عدّة تكلم الصحابة في القضاة والقدر، ونظر حوا
تساولات أمم رسول الله ﷺ .. وجاء في صحيح مسلم أنّ على بن أبي طالب
رضي الله عنه قال :

كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأقانا رسول الله ﷺ فقد وقعدنا
حوله، ومهنّه خصراً، فنسكس بخجل ينكث بمخصرته^(١) ثم قال : ما منكم
من أحد ، مامن نفس منفوسه إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ،
إلا وقد كتبت شقيّة أو سعيدة .

قال رجل : يارسول الله أفلأ ننكث على كتابنا وندع العمل ؟

قال : من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن
كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل ميسر ،
أما أهل السعادة فيسرُون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فيسرُون
لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ :

«فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَقَ بِالْحَسْنَى فَسَلِّمَ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخْلَ
وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحَسْنَى فَسَلِّمَ لِلْعُسْرَى»^(٢) .

• • •

وتقاملت المعيادة على عهد رسول الله ﷺ وسلمت من الفتن ، وكان
إيمان المهاجرين والأنصار هو الإيمان الحق الذي لم تعرف الدنيا له مثيلاً

(١) الخصراً— يكسر الميم— ما أخذه الإنسان يده واختصره ، من
عصا صغيرة وعسكاز صغير وغيرهما ، ونسكس — بتخفيف السكاف
وتتشدّد بها — لعنان فصيحة ان أي خفاض رأسه ، ونكث أي خط خطأ
يسيراً مرة بعد مرة

(٢) سورة الليل — الآية ٥: ١٦

فِي الْيَقِينِ بِهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ وَالْمُفَاعِعَ عَنْهُ .. وَشَهَدَ الْوَحْىُ الْمُنْزَلُ بِالْجَنَّةِ لِكَثِيرٍ
مِنْهُمْ، قَالَ تَعَالَى :

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَأْتِيُونَكُمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمْ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَاهُمْ فَتَحَا قُرْبًا »^(١) .

وَقَالَ جَلَ شَانَهُ :

« وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلَوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
يَأْسَانَهُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَأَعْدَدْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »^(٢) .

(١) سورة الفتح — الآية ١٨

(٢) سورة التوبة — الآية ١٠٠

٢ - مرحلة الصراع العسكري :

انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، ووقف الناس حياله فيمن يختلف الرسول في قيادة الأمة ، واجتمع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة ولحق بهم من المهاجرين أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ..

وبعد مداولات ومراجعات انتهى الاجتماع ببيعة أبي بكر الصديق خليفة لرسول الله وإماماً للمسلمين ..

ومنذ تلك اللحظة تفجّرت قضايا عقدية ما زالت إلى اليوم محل اجتهد وبحث ، وتقدّمت قضية الإمامة لتحتل مكان الصدارة في فكر المسلمين ، ولتأخذ وقتاً وجهداً ، ولتدفع إلى معارك وحروب ، تركت جروحاً غائراً في جسد الأمة الإسلامية .

ثم تلّى ذلك قضية الردة والتكفير ، فقد أرتد بعض الأعراب والقبائل التي كانت حدّيـة عـدـ بالـ إـسـلـامـ ، وامتنع بعضـهمـ عن إخـرـاجـ الزـكـاةـ .

وحدثت مشاورات بين الخليفة أبي بكر وعمر بن الخطاب ، فقد رأى عمر الكف عن محاربة مانع الزكاة حتى لا تتعدد جبهات القتال واحتاج بقول رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قاتل فقد عصى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله .

فرد عليه أبو بكر قائلاً :

واقه لآقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، وواقه لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ ، لقاتلتهم على منهـهـ ..

قال عمر : فواكه ما هو إلا أن قد شرح ألقه صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق .

كما ظهرت قضية السنة والبدعة ، وتجلى ذلك في مسألة جمع القرآن .
على عهد أبي بكر رضي الله عنه ، فقد أخرج البخاري بسنده عن زيد
ابن ثابت رضي الله عنه قال :

أرسل إلى أبو بكر الصديق مقتل اليهودة^(١) ، فإذا عمر بن الخطاب
عنه ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أثاني فقال إن القتل قد
استمر^(٢) يوم اليمامة بقراءة القرآن ، وإن أخشى إن استمر القتل
باقراءة بالمواطن^(٣) فيذهب كثير من القرآن ؛ وإن أرى أن تأمر
بجمع القرآن .

قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال عمر : هذا — والله — خير .

فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح ألقه صدرى لذلك ، وروأيت في ذلك
الذىرأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهمك وقد كنت
تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمه .

قال زيد : فواكه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ، ما كان أنقل على
ما أمرني به من جمع القرآن ..

(١) أى عقب معركة اليمامة في مواجهة مسلمة الكذاب ، وقتل فيها
جماعة كبيرة من الصحابة ، قبل سبعين سنة وقيل أكثر .

(٢) أى اشتبد وكثُر .

(٣) أى المعارك الحربية .

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

قال : هو — وآله — خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح آله
صدرى للذى شرح له صدرى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ...

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف^(١) وصدور الرجال ،
حتى وجدت آخر سورة التوبية من أبي خويبة الانصارى ، لم أجدها مع
أحد غيره^(٢) ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حتى
جاتكم برأمة ..

فكان الصحف عند أبي بكر حتى توفاه آله ثم عند عمر حياته ، ثم
عند حفصة بنت عمر رضى آله عنها ، ..

وقد ساق الإمام ابن حجر في شرحه لهذا الحديث أقوال العلماء في
تفسير موقف الصديق والفاروق وما يرثى منه من قواعد شرعية .. قال :

قال ابن بطال : إنما نظر أبو بكر أولًا ثم زيد بن ثابت ثانية
لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله ، فكرراها أن يحلا أنفسهما محل
من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ، فلما نبههما عمر على فائدة
ذلك ، وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فصيير
إلى حالة المخفاء بعد الشهادة — رجعوا إليه ..

قال : ودل ذلك على أن فعل الرسول ﷺ إذا تجرد عن القرآن —
وكذا تركه — لا يدل على وجوب ولا تحريره

(١) العسب بضم الأول والثاني جمع عسيب وهو جزء النخل ،
واللخاف بكسر اللام جمع لخفة بفتح اللام ، وهى صفات الحجارة الرقاق .

(٢) كان شرط الجمع المحفظ في الصدور ، والكتابة بين يدى الرسول ،
وهو لم يجدها مع غيره أى مكتوبة ، فالجميع يحفظونها .

وناك قاعدة مهمة تدراها في وجه الذين يمنعون الخير ويحرمون الناس من ثواب أفعاله بحججة أن الرسول لم يفعل أو أنه لم يأمر ..

ثم نفي ابن حجر أن يكون موقف الصديق والفاروق زيادة على احتياط رسول الله وأكده أنه مستمد من القواعد التي مهدتها الرسول، ونقل عن ابن البارقي قوله : كان الذي فعله أبو بكر من ذلك فرض كفاية ، بدلالة قوله ﴿لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئاً غَيْرَ الْقُرْآنَ﴾ ، مع قوله تعالى : «إِنَّ عَلَيْنَا جُمِعَهُ وَقُرْآنَهُ»^(١) ، وقوله : «إِنَّ هَذَا لِنَفْيِ الصُّحْفِ الْأُولَى»^(٢) ، وقوله : «رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِ الْإِنْسَانِ يَتَلوُ سِجْفَةً مَطْهَرَةً»^(٣) .

فكل أمر يرجع لإحسانه وحفظه فهو واجب على الكفاية ، وكان ذلك من النصيحة للرسول وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم.

وقد فهم عمر أن ترك النبي ﷺ جمه لا دلالته في المنع ، ورجع إليه أبو بكر لما رأى وجهاً بالإصابة في ذلك ، وأنه ليس في المندول ولا في العقول ما ينافيه ، وما يترتب على ترك جمه من ضياع بعضه ، ثم تابعها زيد بن ثابت وسائر الصحابة على تصويب ذلك^(٤) .

وقد أرسى ذلك أصلاً كبيراً في التشريع الإسلامي هو الاستحسان والمصالحة انطلاقاً من قوله تعالى : «وَافْعُلُوا الْخَيْرَ لِعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(٥) .

(١) سورة القيمة - الآية ١٧.

(٢) «ال أعلى - » ١٨.

(٣) «البينة - » ٢.

(٤) فتح الباري - المجلد التاسع ص ١٣ ط دار الفكر.

(٥) سورة الحج - الآية ٧٧.

يقول الإمام نجم الدين الطوقي :

وَمَا يُؤكِّدُ الْعَمَلَ بِالْمَصَاحِفِ إِنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَمِلُوا
أَمْرًا لِمَطْلَقِ الْمُصْلَحَةِ لَا يَتَقدِّمُ شَاهِدٌ بِالْاعْتِبَارِ :

نحو كتابة المصحف ولم يتقدم فيها أمر ولا نظير ، وولاية العهد من
أبي بكر لغير رضي الله عنها ولم يتقدم فيها أمر ولا نظير ..
وكذلك ترك الخلافة شورى ، وتدوين العواوين ، وعمل السكة^(١)
لل المسلمين واتخاذ السجن ، فعل ذلك عمر رضي الله عنه .

وهدم الأوقاف التي يأياها مسجد رسول الله ﷺ والتوسيعة فيه عند
ضيقه ، وتجدد الآذان الأولى في الجمعة ، فعل ذلك عثمان رضي الله عنه ،
كل ذلك لطلق المصلحة^(٢) .

* * *

ثم اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وسارت قوافل النور تمحو ظلام
الشرك وظلم الطواغيت ، فدخلت في الإسلام طوائف تقية ، أو سعايا
لمارب ، أو تربصا بفتنة ..

وكان مقتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مفاجأة أذهلت المسلمين
وكشفت عن الخطر الدام الذي يتهدد المسلمين من تلك الطوائف
المخالية ..

لكن الأمر امتد واستفحلا وماجت الأرض بحركة عصيان وتمرد
طائفة جمعت كل أصحاب الأهواء وأحکمت حلقاتها على المدينة المنورة
وقتلت الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ..

(١) السكة بكسر السين الدراما المنشورة .

(٢) شرح مختصر الروضة - تحقيق د ، عبد الله بن عبد الحسن التركي
ج ٣ ص ٢١٣ ط الوسالة .

وَدَمِ الْأُمَّةِ مَا دَهْمَهَا مِنْ حَرُوبٍ طَاحِنَةٍ فِي مَوْقِعِيِّ الْجَلْ وَصَفَينِ ،
وَاتَّهَىَ الْمَأْسَةُ بِمَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ الرَّابِعِ عَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
سَهْرِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ لِصَبْعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامِ أَرْبَعِينَ
مِنَ الْهِجْرَةِ . . .

وَفِي هَذِهِ الْمُرْحَلَةِ أَطْلَمَتْ عَلَىِ الْمُسْلِمِينَ أَفْكَارُ الْحَلُولِ وَالْإِتْهَادِ وَالْتَّشْدِيدِ ،
وَتَوَلَّ كَبُرُّهَا غَلَةُ الشِّيَعَةِ يَتَقدِّمُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأً . . .

وَامْتَدَتْ قَضِيَّةُ التَّكْفِيرِ لِتَعْمَلُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ، فَلَمْ يَكُنْ يَنْجُو مُسْلِمٌ مِنْهُ
أَنْ يُحْكَمَ بِهَا أَوْ يُحْكَمَ عَلَيْهَا ، وَتَوَلَّ كَبُرُّهَا الْخَوَارِجُ فَقَدْ كَانُوا أَكْثَرُ
الْفَرَقِ إِلَرَهَا بِأَنْ يُجْتَمِعَ الْمُسْلِمِينَ .

٣ - مرحلة الصراع السياسي :

انتهت الخلافة الراشدة وأصبح الملك عضواً، وتصدعت الأمة
بأحواب سياسية وفرق دينية، ألغت السلاح في موضع كثيرة وبدأت
المعارك الكلامية، فشهدت الساحة جدلاً كبيراً بين الشيعة والخوارج
والقدرة والخبرة والمرجنة ..

ويتدخل الفكر الوارد الفلسفى والصوفى ليولد فى الأمة مذاهب هدامه
وليشد من أزر الغلاة والزنادقة والملائحة ..

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه مقدمة لكتاب الحديث جبريل المشهور
عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدير بالبصرة معبد
الجهم ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن التميمي حاجين أو معتمرین ،
فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقوله
هذا لاء في القدر .

فوق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب دأدخل المسجد فاكتفيت أنا
وصاحي ، أحدهما عن يمينه والأخر عن شمالي ، فظلت أن صاحبي سيكل
الكلام إلى ، فقلت :

أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقوّون القرآن ويتفقرون^(١) ،
العلم ، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر
أنف^(٢) .

(١) تقدّر العلم - بتقدیم القاف على الفاء أو بالعکس - معناه طلب العلم والبحث عن غامضه واستخراج خفته.

(٢) أَيُّ الْمُبْتَأْتَ مِنْهُ لَمْ يُسْبِقْ بِهِ عِلْمٌ مِّنْ أَنَّهُ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ
بِمُدْعَى وَقْوَعَةِ .

قال ابن عمر : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم
براءة مني ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لا حدم مثل أحد
ذهبأً فأنفقه ما قبل أقه منه حتى يؤمن بالقدر . . . ثم ساق حديث
جبريل . . .

وقامت السلطة السياسية لنصرة مذهب على مذهب حماية للدولة
وليس ولاده . . .

وعلى سبيل المثال فain أول من قال بخلق القرآن الجعدي درهم ،
فقتلته خالد بن عبد الله القسري يوم عيد الأضحى بالكوفة عام أوّلية
وعشرين وعما ، خطب الناس فقال :

أيها الناس خسوا ، تقبل الله ضحاياكم ، فاني مضح بالجعدي درهم ، إنه
فرعم أن الله لم يستخد إبراهيم خليلًا ، ولم يتكلم موسى تكليلا ، تعالى الله
عما يقول الجعدي علوًّا كبيراً . . .

ثم نزل فذبحه في أصل المبر . . .

وشاء الله أن يقتل خالد بن عبد الله القسري شر قتلة ، قتلته يوسف
ابن عمر ، فبتر قدميه ثم ساقيه ثم خذله ثم صدره ، ثُمَّ فات ولا يتكلم كلة
واحدة ولا تأوه حتى خرجت روحه .^(١)

وتندون الأيام دورتها وجاء الخليفة العباسى للأمون فاعتق مذهب
الاعتزال وحمل الناس على القول بخلق القرآن وأرسل عام ٢١٨ هـ كتاباً إلى
والى بغداد لسحاق بن إبراهيم بن مصعب يطلب منه امتحان القضاة

(١) البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ج ٩
ص ٣٩٤ ، ج ١٠ ، ص ٢٠ ط مطبعة السعادة .

والمحذفين في مسألة القرآن، كما أمره أن يأخذ على القضاة عهداً أن لا يقولوا
شهادة من لا يقول بخلق القرآن ..

ولقد تحمل الإمام أحمد بن حنبل عناه شديداً وبلاءً كبيراً في مواجهة
هذا التحصّب السياسي على عهد المأمون والممعتمد والوافق إلى أن جاءه
 الخليفة العباسي المتوكل فترك القول بخلق القرآن وأطلق سراح أحد
ابن حنبل ..

ولقد اشتهر الحديث عن المقادير في هذه المرحلة باسم علم الكلام
وبنته فرق المبتدةعة الخالفين لأهل الحديث والسلف، ولهذا ورد الفم
لعلم الكلام على ألسنة أئمة السلف، فقال أبو يوسف لبشر المريسي المعزلي:
العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل
رأساً في الكلام قيل: زنديق أو رعى بالوندقة ..

وقال الشافعى رحمه الله تعالى :

حكى في أهل الكلام أن يضرروا بالجريد والنعال، ويطاف بهم
في المشاوير والقبائل، ويقال هذا جزء من ترك الكتاب والسنة وأقبل
على الكلام ..

وتععددت كتب الأئمة في الرد على هؤلاء، مثل :

• كتاب الرد على الزنادقة والجهمية .

للإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١

• وكتاب خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل.

للإمام البخاري ت ٢٥٦

• وكتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ..

للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة ت ٢٧٦ .

• وكتاب الرد على الجهمية

• وكتاب الرد على المريسي

وكلاهما للإمام أبي عثمان الداروي ت ٢٨٠ .

وهذه الكتب مجموعة في مجلد واحد يسمى : عقائد السلف ^(١) .
ولأن كان البعض يشكك في نسبة الكتاب الأول إلى الإمام أحمد ،
وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : إنه موضوع عليه .

(١) تحقيق د. علي سامي النشار وعمدار جمعة الطالبي ط. منشأة المعارف بالإسكندرية .

٤ - مرحلة الصراع الفكري :

تعززت الخلافة الإسلامية منذ العصر العباسي الثاني (٥٢٣هـ) إلى دول متعددة، كالدولة الصفارية والسامانية في خراسان وما وراء النهر، والدولة الحمدانية في الموصل وحلب، والطولونية والإخشيدية في مصر، والفاطمية في المغرب، والأغالبة في تونس، والأدارسة في مراكش، والأموية في الأندلس.

وقد قام بعض هذه الدول منذ عهد مبكر أثناء الخلافة الأموية في دمشق وأثناء العصر العباسي الأول ..

وتعدد هذه الدول أدى إلى تعدد الاتجاهات المذهبية والفكرية، فكان منها الشيعة والسنّة، ومنها المعتزلة والخوارج، واحتضن الخلفاء والأمراء آئية هذه المذاهب، وقامت حركة تأليف واسعة في شتى فنون الفكر واتسم الجدل بين العلماء بعيداً عن ساحة المحكمة، وقام علم الكلام جديداً في منهجه، فقد تسلح بسلاح خصوصه في المنطق، ودرس الفلسفة وجمع الشبهات، وساق الأدلة العقلية على المنطى المنطقي ليؤيد قضايا العقيدة ويلتصق للدين ويدفع فتن الزنادقة والملحدين ..

فكان أبو الحسن الأشعري (ت ٣٣٠هـ^(١)) فاتحة هذا العهد بعد أن ترك مذهب الاعتزال الذي ظلل عليه أربعين عاماً في حضن زوج أمه

(١) هناك خلاف في سنة وفاة الأشعري قبل سنة ٣٣٠هـ، أو ٣٢٤هـ، أو ٣٢٦هـ، أو نصف وثلاثين وثلاثمائة.

أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في مصر ، وتحول إلى مذهب السلف ، فرق كرسيا في المسجد الجامع في البصرة ونادى بأعلى صوته : من عرقى فقد عرقى ، ومن لم يعرق فأنه أصره بنفسه ، أنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لاتراه الأبصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها ، وأنا تائب مقلع ، معتقد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائهم ومعاهم ..^(٢)

وامتشق الأشعري سلاح المعتزلة الجدل ، ونصر به مذهب السلف ، ونحا بعلم الكلام منحى جديدا وقال مستحسننا الخوض في علم الكلام : « إن طائفه من الناس جعلوا الجهل رأس مالم ، ونقل عليهم النظر والبحث عن الدين ، وما لو إلى التخفيف والتقليد ، وطعنوا على من قتش عن أصول الدين ونسبوه إلى الضلال .. »

وزعموا أن الكلام في الحركة والسكن ، والجسم والعرض ، والألوان والأكون ، والجيوه والطفرة ، وصفات الباري عزوجل — بدعة ، وقالوا لو كان ذلك هدى ورشادا لتكلم فيه النبي ﷺ وخلفاؤه وأصحابه ..

قال أبو الحسن :

والنبي ﷺ لم يقل أياً نه من بحث عن ذلك وتكلم فيه فاجعلوه مبتداً هنالا .. ثم إن النبي ﷺ لم يجعل شيئاً بما ذكر تموه من الكلام في الجسم والعرض والحركة والسكن والجيوه والطفرة ، وإن لم يتذكر في كل واحد من ذلك معيناً ، وكذلك الفقهاء من الصحابة ..

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحقيق الشيخ محمد عزي الدين عبد الحميد ج ٤٦ ص ٢٣ ط مكتبة النهضة المصرية .

غير أن هذه الأشياء التي ذكرتموها معينة، أصولاً موجودة في القرآن
والسنة، بجملة غير مفصلة ..

وأما الكلام في أصول التوحيد فأخذناه أيضاً من القرآن الكريم،
قال تعالى « لو كان فيها آلة إلا الله لفسدتا »، وهذا كلام موجود منه
على الحجة بأنه واحد لا شريك له ..

ونختج على من قال إن الله تعالى وتقديس يشبه المخلوقات وإله جسم ،
بأن نقول له :

لو كان يشبه شيئاً من الأشياء لكان لا يخلو من أن يكون يشبهه من
كل جهاته أو من بعض جهاته ..

فإذن كان يشبهه من كل جهاته وجب أن يكون عدنا من كل جهاته ،
وإن كان يشبهه من بعض جهاته وجب أن يكون محدثاً مثله من حيث أشبهه ،
لأن كل مشتبهين حكمها واحد فيما اشتباها له ..

ويستحيل أن يكون الحديث قد ياماً والقديم محدثاً .. قال تعالى وتقديس
« ليس كمثله شيء » ...

ثم ذكر الأشعري مسائل الفروع في الفقه وقال إن مرد هذه إلى
السمع وإلى الرسل ، أما ما يتعلق بالأصول فقال :

ينبغي ل بكل عاقل مسلم أن يرد حكمها إلى جملة الأصول المتفق عليها
بالعقل والحس والبداهة ، لأن حكم مسائل الشرع التي طريقها السمع
أن تكون مردودة إلى أصول الشرع الذي طريقه السمع ..

وحكم مسائل العقليات والمحسوسات أن يرد كل شيء من ذلك إلى
بابه ، ولا تخلط العقليات بالسمعيات ، ولا السمعيات بالعقليات ..

(٤ - التوحيد)

فَلَوْ حَدَثَ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - السَّكَلَامُ فِي خَلْقِ
الْقُرْآنِ وَفِي الْجَزْءِ وَالظُّفْرَةِ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ لِتَكَلَّمَ فِيهِ وَبِينَهُ كَا يَبْيَنُ سَارِرُ
مَا حَدَثَ فِي أَيَّامِهِ مِنْ تَعْبِينِ الْمَسَائِلِ وَالتَّكَلُّمِ فِيهَا ..

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : فَأَنَا أَنْوَفُ فِي ذَلِكَ فَلَا أَقُولُ مُخْلوقٍ وَلَا غَيْرَ مُخْلوقٍ ،
قِيلَ لَهُ :

فَأَنْتَ فِي تَوْقِفِكَ فِي ذَلِكَ مُبِيدٌ ضَالٌ ، لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ إِنْ
حَدَثَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بِمَدِي تَوْقِفُوا فِيهَا وَلَا تَقُولُوا فِيهَا شَيْئًا ،^(١) .

وَتَوَالَّ أَئْمَةُ أَعْلَامِ عَلَى هَذَا الدِّرْبِ مُثِيلُ أَبِي بَكْرِ الْبَاقِلَانِ (ت ٤٠٣ هـ)
وَأَبِي الْمَعَالِ الْجَوَيْنِيِّ (ت ٤٧٨ هـ) وَأَبِي حَامِدِ الغَزَّالِيِّ (ت ٥٠٥ هـ)
وَأَخْتَلَطَ عِلْمُ السَّكَلَامِ بِالْفَلْسَفَةِ ، وَسِيقَتْ قَضَايَاهُ فَلْسَفِيَّةَ الْبَدْءِ ، عَقْلِيَّةَ الْمَهْرجِ ،
قُرْآنِيَّةَ النَّتْيُوجَةِ ..

فَلَسْكَى يَصْلُوَا إِلَى حَقِيقَةِ إِيمَانِيَّةِ مَهْدُوا لَهَا تَمَهِيدَاتٌ بَعِيدَةٌ وَنَاقِشُوا
قَضَايَا دُخِيلَةٍ ، وَتَعْرِضُوا لِأَمْرِ مَا عَمِّقَهَا الْفَلْسَفَةُ وَالْحَيَالُ ..

وَعَلَى سَبِيلِ المِثالِ فَإِنْ كِتَابَ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّ لِعُمَرِ بْنِ مُحَمَّدِ النَّسْفِيِّ
(ت ٥٣٧ هـ) بِدَأْ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ :

قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ : حَقَّا فِي الْأَشْيَاءِ ثَابِتَةٌ ، وَالْمُهَلَّمُ بِهَا مُتَحَقِّقٌ خَلَافًا
لِلْأَسْوَفِسْطَائِينِ ..

(١) نَقْلًا عَنْ كِتَابِ تَارِيخِ الْفَكَرِ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَيَّامِ أَبِي خَلْدُونَ تَأْلِيفُ
عَمَرِ نُورُوكْ ص ٣٢٥ طَدَارُ الْعِلْمِ لِلْمُلَاهِينَ سَنَةُ ١٩٨٣ م

ثم قسم أسباب العلم إلى ثلاثة هي :

الحواس السليمة وأخبار الصادق والمقل ..

وبعد شرح هذه الأسباب انتقل إلى قضية حدوث العالم فقال : والعالم جمجمة أجزاءه محدث ، إذ هو أعيان وأعراض ..

فالأعيان ماله قيام بذاته ..

وهو إما مركب وهو الجسم ..

أو غير مركب كالجواهر ، وهو الجزء الذي لا يتغير ..

والعرض مالا يقوم بذاته ، ويحدث في الأجسام والجواهر ، كالألوان والألوان والطعوم والروائح

والحدث للعالم هو الله تعالى الواحد القديم الذي القادر العليم السميع البصير ...^(١) .

وقد عرف ابن خلدون ت ٨٠٨ هـ علم الكلام بأنه :

علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة ..

وقال في موضع آخر :

فموضوع علم الكلام عند أهل إيماناً هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية ، فترفع البدع وتزال الشكوك والشبه عن تلك العقائد^(٢) ..

(١) متن العقائد النسفية ضمن كتاب بمحاجة مهات المترون ، ص ١٩ ط دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩٤ م .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٦٣ . ص ٤٦٩ ط دار الكتب العلمية - بيروت .

ولقد حل ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ حلة شعواره على المتكلمين واتهمهم
باليقنة الكتاب والسنة.

والمتأمل لفكرة ابن تيمية يجد أنه لم يفعل أكثر مما فعل علماء الكلام
أنفسهم، فلقد رد ودافع بنفس أسلوب ومنهج المتكلمين وال فلاسفة، وأعاد
لنا موقف الإمام أبي حامد الغزالى من الفلسفه وفرق الزيغ ..

ولما جاء ابن أبي العز الدمشقى ت ٧٩٢ هـ ليشرح العقيدة الطحاوية
قال :

وشرح هذه العقيدة غير واحد من العلماء ولكن رأيت بعض
الشارجين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم واستمد منهم وتكلم
بعبارتهم ..

ثم قال :

وقد أحيبت أن أشرحها سالكًا طريق المصلف في عباراتهم ، وأنسج
على منوالهم ، متطفلًا عليهم لعل أن أنظم في سلوكهم ، وأدخل في عدادهم
وأحضر في زمرةهم ..^(١)

ومع ذلك فإنه إذا تصفحت شرح ابن أبي العز تجد أنه لا يختلف عن
منهج المتكلمين في شيء ..

فلقد تكلم عن الماهية وأحكام النقيض والضد ، والمطلق الكلى
بل هو موجود في الأذهان أو الأعيان ، والواجب والممکن ، والنوع
والجنس ، والدور والتسلسل بل إنه ورجه - كشیخه ابن تيمية -
تسلسل الحوادث في الماضي وقال :

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٣ ط المكتب الإسلامي سنة

ومن المعلوم بالفطرة أن كون المفهول مقارنا لفاعله لم يزل ولا يزال معه - ممتنع محال ، ولما كان تسلسل الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء ، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء ..^(١) .

وتتكلم ابن أبي العز عن وجوب الوجود والممكن والعلاقة بينهما فقال :

فإن الموجودات لابد أن تنتهي إلى وجوب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل^(٢) ، فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن ، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك ..

وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة ، فإن الممتنع لا يوجد .

ولا وجوبية بنفسها فإن وجوب الوجود بنفسه لا يقبل العدم ، وهذه كانت معدومة ثم وجدت ..

فعدمها ينقض وجودها^(٣) ..
ووجودها ينفي امتناعها .

وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما قال تعالى

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٤ ط المكتب الإسلامي سنة ١٤٩٤ هـ.

(٢) لاحظ أن الشيخ هنا ينفي التسلسل وقد قبله هناك .

(٣) في النسخة المطبوعة « وجودها » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه فإن قبول الشيء للوجود والعدم يدل على إمكانه وينفي وجوده .

أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الظَّالِمُونَ ،^(١)

• • •

إِنَّ الَّذِينَ يَهَاجِجُونَ عِلْمَ الْكَلَامِ بِمَصْطَلِحِهِ الْجَدِيدِ إِنَّمَا يَسْتَخْدِمُونَ مِنْهُجَ
عِلْمِ الْكَلَامِ ذَاتَهُ ، فَهُمْ مُتَكَلِّمُونَ رَغْمَ أَنَّوْفُهُمْ ..

وَإِنَّ الَّذِينَ يَدَافِعُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ فِي مُوَاجِهَةِ الْعُلَمَائِينَ وَأَهْلِ الضَّلَالِ
إِنَّمَا يَقُولُونَ دَفَاعَهُمْ عَلَى مِنْهُجِ عِلْمِ الْكَلَامِ مِنْ حِيثِ لَا يَشْعُرُونَ ١١..

وَإِذَا كَانَ الْأَقْدَمُونَ عَالِيَّوْنَ عَاصِرَهُمْ وَتَفْلِيْبُهُمْ عَلَى خُصُومِهِمْ بِسَلاحِ
أَعْدَاهُمْ فَإِنَّ الْمُحْدَثِينَ لَنْ يَنْجُوْهُمْ إِلَّا بِاسْتِخْدَامِ سَلاحِ الْعِلْمِ الْخَدِيعِ
وَمَلَاحِقَةِ التَّطْوِيرِ السَّرِيعِ لِبَعْوُثِ الْفَضَاءِ وَالْمُهَنْدِسَةِ الْوَرَاثِيَّةِ وَالْاِسْتِسَاخِ ..

فَإِنْ لَكُلُّ زَمْنٍ قَضَايَاهُ وَلَكُلُّ حِصْرٍ شَوْنَهُ ، وَيَقِي مَوْضِعُ عِلْمِ
الْكَلَامِ وَاحِدًا عَلَى مَدِيِّ الْمَعْصُورِ وَهُوَ الْمَفَاعِعُ عَنْ عَقَائِدِ الْإِيمَانِ بِالْأَدَلَّةِ
الْمُقْلِيَّةِ الْمَتَاحَةِ لِكُلِّ جَيْلٍ ..

وَهَذِهِ الْأَدَلَّةُ مَتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ يَعْقِلُهَا الْعَالَمُونَ عَلَى مَدِيِّ تَارِيخِ
الْحَيَاةِ ، وَلَا تَجْتَمِعُ بِجَيْلٍ دُونَ آخَرَ ، وَلَا يَسْتَأْثِرُ بِهَا سَلْفٌ دُونَ خَلْفٍ ،
وَإِنَّمَا تَظَلُّ تَنْبَيِّبًا مَعَ عُقُوقِ التَّأْمُلِ وَفَطْنَةِ الْعُقْلِ وَصَفَاهِ الْفَطْرَةِ .. قَالَ
تَعَالَى : « سَفِيرُهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآَوَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوْ لَمْ
يَكُفْ بِرَبِّكَ أَنْهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »^(٢) ..

(١) سورة الطور - الآية ٣٥ وراجح ص ١١٣ من شرح الطحاوية -

(٢) سورة فصلت - الآية ٥٣

٠ - مرحلة العصر الحديث :

تبلور علم العقيدة الآن في ثلاثة اتجاهات رئيسية هي :

- الاتجاه الأشعري .
- الاتجاه السلفي .
- الاتجاه الاعتزالي .

* * *

الاتجاه الأشعري :

يتبوأ الاتجاه الأشعري مكان الصدارة في معظم الجامعات والجمعيات الإسلامية ، وبخاصة في الأزهر الشريف ..

ففي مراحل التعليم الأولى تقوم المناهج على منظومة الخريدة البهية في العقائد التوحيدية لأبي البركات أحمد بن محمد الدودير المتوفى ١٢٠١ هـ .

وفي المرحلة الثانوية تعتمد المناهج على جوهرة التوحيد لبرهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني المتوفى ١٠٤١ هـ وشرحها وبخاصة شرح الشيخ الباجوري المتوفى ١٢٧٧ هـ .

وفي المرحلة الجامعية يدرس الطلاب كتاب الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالى المتوفى ٥٠٥ هـ والموافق لعاصد الدين الإيجي المتوفى ٦٧٥ هـ وشرحها للشريف الجرجانى المتوفى ٨١٦ هـ ، وشرح المقاصد لسعد الدين التفتانانى المتوفى ٧٩٢ هـ ، ويعرجون على كتب الوازى والأمدى .

والملاحظة الجديرة بالاعتبار أن هذه الدراسة الأزهرية لا تعرف التغصب ولا تلوم بالاعتقاد في المذهب ، وتدع لعلماء الأزهر فرصة الاختيار الحر ..

وقد نجد من الأزهريين من هو اعتزال المذهب ، بل إن أئمة كباراً تولوا مشيخة الأزهر أو كانوا في مستواها نادوا بأفكار اعتزالية ودافعوا عنها كالشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ھ) والشيخ محمد مصطفى المراغي (ت ١٩٤٥م) والشيخ محمود شلتوت (ت ١٩٦٣م) ومن أئمة الأزهر الفلاسفة الشيخ مصطفى عبد الواثق (ت ١٩٤٧م) وأنجح الأزهر أئمة في التصوف منهم الدكتور عبد الحليم محمود (ت ١٩٧٨م) ، وحظى الاتجاه السلفي بعديد من علماء الأزهر ناخوا عنه وواجهوا في سبيله منهم الشيخ محمد حامد الفقي (ت ١٣٧٨ھ - ١٩٥٩م) الذي أسس جماعة أنصار السنة الحمدية لتبني الدعوة الوهابية ، وساعدته الشيخ عبد الواثق عفيفي (ت ١٤١٥ھ ١٩٩٤م) وقد تولى منصب رفيعاً في الإفتاء السعودي ..

الاتجاه السلفي :

برز هذا الاتجاه أكثر وضوحاً على أيدي الدعوة الوهابية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجاشي المتوفى ١٢٠٦ھ بتحالفه مع البيت السعودي ..

ويعتمد الاتجاه السلفي على كتب الإمام ابن تيمية ت ٧٢٨ھ وتلميذه ابن القيم ت ٧٥١ھ وتقوم مناهج علم العقيدة في المملكة العربية السعودية على رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمهما كتاب «التوحيد» الذي هو حق الله على العبيد ، وكتاب «مسائل الجاهلية» .

وكتابات الشيخ مختصرة وأكثر عباراته إشارات ..

ويعد كتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الدمشقي أكثر كتب العقيدة انتشاراً بين طلاب العلم في الجامعات السعودية بالإضافة إلى الواسطية والتدميرية والمحوية لابن تيمية ، ويقوم العلماء المحدثون بمحاولة

تأصيل هذا الاتجاه والدفاع عنه ظهرت كتب ورسائل صغيرة للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز والشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، والشيخ محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ صالح بن فوزان الفوزان ..

وهي كلها تدور حول الأسماء والصفات ، والتحذير من الشرك ، ومفهوم العبادة له ...

والملاحظ أن هذا الاتجاه السلفي يحمل بعض العنت ويشير نوع تطرف ، فهم لا يتسامون مع أى اتجاه مختلف ، ويطلقون أسلفهم بالسوء على كل من عداهم ..

فلا فرق عندهم بين الأشعري والشيعي والشيوخى ..

ولا بين الصوفى والوثقى ..

ولا بين المعتزلى والمجوسى ..

وأكثـر الألفاظ استخداماً لديهم ونطـقاً بها هي ألفاظ التكـفـير
والتفسيـق والتـبـدـيـح ..

الاتجاه الاعتزالي :

معظم أقسام الفلسفة في الجامعات المدنية تبني الاتجاه الاعتزالي ، كما يدافـع عنه كثـير من تلامـيد المسـتـشـرـقـين الذين درـسوـاـ في جـامـعـاتـ أورـباـ ..

ومن جهة أخرى فإن هناك صلة قوية بين الاعتزال والتشيـع قدـماـ
وحـدـيـشاـ ، فقد نـشـأـ وأـصـلـ بن عـطـاءـ مؤـسـسـ فـرـقةـ المـعـتـزـلـةـ في بـلـيـتـ مـحـمـدـ بنـ
الـحنـفـيـةـ وأـخـذـ عـنـهـ الـعـلـمـ ..

وتـلـمـذـ زـيـدـ بنـ عـلـىـ ذـيـنـ العـابـدـيـنـ بنـ الـحسـنـ عـلـىـ يـدـيـ وـاـصـلـ بنـ عـطـاءـ
وـاقـبـسـ مـنـهـ أـصـوـلـ الـاعـزـالـ ..

والتقى الويدية مع المعتزلة في مواجهة الأمويين والعباسيين ..

ولا تزال كتب الشيعة والمعزلة تشارك في قضايا عقدية كثيرة مثل
التوحيد والعدل والقضاء والقدر ..

ومن أعجب الأمور أن كلا من الاتجاه السنى والشيعى والاعتزالى
يتخذ من الإمام على بن أبي طالب مبدأ له ..

فبعد القاهر البغدادى^(١) ت ٤٢٩ هـ جعل أول المتكلمين من الصحابة
على بن أبي طالب حيث ناظر الخوارج في مسائل الوعد والوعيد، وناظر
القدرية في الشيئه والاستطاعة، وذكر المعتزلة^(٢) في صدر طبقتهم الأولى
الإمام على بن أبي طالب، وقام الفكر الشيعى كله انتصاراً للإمام على رضى
آله عنه ..

* * *

كلمة أخيرة :

وأخيراً فإن لي كلمة أهمن بها في اذن كل داعية ، واضعها أمام كل
مسلم وهي :

إن لكل مجتهد نصيباً ، ويجب أن لا يعيّب ببعضنا على بعض في إطار
ضوابط الاجتہاد وحدود معلم الفكر الراشد ..

(١) في كتابه « الفرق بين الفرق » تحقيق الشيخ حمی الدین عبد الحميد
هل مكتبة صلیح .

(٢) راجع كتاب « فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » تأليف أبي القاسم
البلغى والقاضى عبد الجبار والحاکم الجشمى – تحقيق فؤاد سيد ط الدار
التونسية للنشر سنة ١٣٩٣ ١٩٧٤ هـ

وإذا كنت فيها العالم اجتهدت فوصلت إلى مذهب معين ، أو رجحت اتجاهها خاصاً فدع الآخرين يجهدون مثلك ويرجحون ما تطمئن إليه نقوسهم ويستقر عليه تفكيرهم طالما جمعتنا كلمة « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » .

ولألا فإنك متسلط تدعى العصمة لنفسك وتقذف بالغيب من مكان

بعيد ..

وتعجبني كلمة للدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - تؤكدها الأيام والتجارب ، وأصبحت أكثر وعيًا بها بعد أن كنت متربداً في قبوطا ، وهي: لاتزال تلك القوى الثلاث (النصيون والبصريون والعقليون) تتصارع حتى عهدنا هذا ، ونعتقد أنها ستستمر ، ذلك أنها تمثل نزعات فطرية في بني الإنسان ..

فبعضهم واقعٍ يتوجه إلى النص ولا يريد ، أو لا يكفيه أن يسير إلى أبعد منه ..

وبعضهم يحتفظ بشخصيته قوية جارفة لا تلين ، فهو عقلٌ أو اعتزال.

وبعضهم رقيق الشعور ، مرهف الحس ، ملائكي التزعة فهو بصيرٌ أو صوف ..

نزعات ثلاثة تقوم على فطر مختلفة ، وهذه الفطر ستستمر في بني البشر مادام على وجه الأرض أفراد من النوع الإنساني ، ومن هنا كان خطأ هؤلاء الذين يحاربون التصوف أو الاعتزال أو النصيين ، على أمل أن يقضوا على اتجاه من هذه الاتجاهات قضاء تاماً^(١) .

(١) المنقد من الضلال لحجة الإسلام الفراهي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الفراهي للدكتور عبد الحليم محمود ص ٣٧٣ ط ، دار الكتب الحديثة سنة ١٣٩٤ھ ١٩٧٤ م

ولنعلم أن الجهد العقلى فيها وراء الطبيعة محدود وضامر ، وأن المسألة
أعمق من أن يحيط بها البشر لحاطة تامة ..

ولقد أدرك الخالصون من العلماء والواسيخون من الأئمة أن العجز
عن الإدراك إدراك ، وأن النور الإلهي هو الذي يمنع الحقائق ثباتها
ويقينها ..

ولهذا قال الإمام الرازى :

نهاية إقدام العقول عقال
وأرواحنا في وحشة من جسمينا
وحاصل دنيانا أذى و وبال
سوى أن جمعنا فيه قيل و قالوا

وقال الشيرستاني :

لعمري لقد طفت المعاهد كالماء
فلم أر إلا واضعا كف حائر
وسيرت طرقى بين تلك المعامل
على ذقن أو قارعا سن نادم

وقال أبو المعال الجوني عند موته :

ما أنا ذا أموت على عقيدة أمى

أو قال : على عقيدة مجائز أهل نيسابور^(١)

وهذا يدفعنا إلى أن يترافق كل منا بالآخر ، ويلتمس له الأهدار ،
وندع للحوار موضعا ..

وإن الخطر الذى يتهدى العقيدة الإسلامية اليوم ليس من داخل الفرق

(١) راجع شرح الفقه الأكبر للبلاعى القارى ص ١١ طدار الكتب
العلية - بيروت .

الإسلامية وإنما من التيارات الواحنة والمذاهب المدamaة الوافدة التي تسرى مع الهواء وتشكل حسب الظروف والأحوال ..

ويتمثل ذلك في الثالوث الحديث :

- الخطط الصهيوني .

- الفكر المادي .

- اليسار الإسلامي المزعوم .

وهذا الثالوث أفرج الانحلال الخلقي وعبادة الشيطان ..

فما أهوج المسلمين إلى الاعتصام بجبل الله والاجتهد المستثير تأصيلا للعقيدة، واستمساكا بالوحى، وعروجا في سلم الحضارة، وقيادة البشرية إلى مشرق الحق .. ومطلع النور .. وشاطئ الأمان ..

المبحث الثالث

الإسلام و تحرير العقائد

- المعجزة العقلية .
- أصول التفكير .
- المعرفة والتقليد .
- مصادر المقادير .
- الحكم وأنواعه .

المعجزة العقلية

يتفرب سيدنا محمد ﷺ من بين شائر الأنبياء بأن معجزة كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يحمل دليله معه وينادي صباح مساء :

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مُّثْلِهِ وَادْعُوا شَهِادَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(١).

لقد كان لكل نبي معجزة تتناسب وعصره الذي عاش فيه ، فعلى عليه السلام بعث في قوم انتشر فيهم السحر ، فكانت معجزته أن انقلب عصاً حية تسعى «فإذا هي تلتف ما يأفكرون» ، فأدرك سحرة فرعون الفرق بين فعل الخالق وفعل الخالق «فألق السحرة سجيناً قالوا آمنا برب هارون وموسى» .

وأرسل عيسى عليه السلام إلى قوم بزرعوا في الطلب واشتهروا به فكانت معجزته شيئاً يفوق طورهم ويعلو مقدورهم .

قال الله تعالى :

«وَوَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُكُمْ بَآيَةً مِّنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقَ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ ، فَأَنْفَخْتُ فِيهِ فَيُكَوِّنُ طَيْرًا يَأْذَنُ اللَّهُ ، وَأَبْرَىءُ الْأَكْهَمَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيَ الْمَوْتَىٰ يَأْذَنُ اللَّهُ ، وَأَنْبَشَكُمْ بِمَا تَأْكَلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي يَوْمٍ تَسْكُنُ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ»^(٢).

(١) سورة البقرة الآية ٢٣

(٢) آل عمران الآية ٤٩

ثم كانت أمة العرب ، ولها شأنها في الغلب بالقول ، والبيان في الحجة ، والسبق إلى امتلاك المشاعر والتأثير الوجداني ، فبعث محمد ﷺ من تلك البيئة ومعه القرآن المجيد فسجدوا له قبل أن يؤمنوا اسمه بلاغته وعظم معاناته ، وتروى كتب السيرة أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً في قومه قال يوماً وهو جالس في نادى قريش :

يامعشر قريش ألا أقوم فأكله وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكتف عننا ؟

وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكترون .

فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فتكلم .

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال :

يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبدت به آلهتهم ودينتهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال الرسول : قل يا أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخي إن كنت إنما ترید بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثراً مالاً ، وإن كنت ترید به شيئاً فسودنا لك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت ترید به ملوكنا لك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ربيعاً^(١) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى ندرك منه .

(١) الْبَيْعُ - بفتح الواو وكسرها - ما يتراءى للإنسان من الجبن .

فَلِمَا فَرَغَ عَتْبَةُ مِنْ عَرْضِهِ قَالَ لَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ : فَاسْتَمِعْ مِنِّي
ثُمَّ قُرْأً :

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْ . تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فَصَلَتْ
آيَاتُهُ قُرآنًا هَرِيَّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بِشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضُ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْنَةٍ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانَنَا وَقَرْ وَمَنْ
يَتَنَاهُ وَيَنْتَكُ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَعْمَلُ . قَلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَوْمَى إِلَى
أَنَّمَا إِلَمْكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ» .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا وَهُوَ يَقْرَأُهَا عَلَيْهِ ، فَلِمَا سَمِعَ عَتْبَةَ أَنْصَتْ
لَهَا وَأَلْقَى بِدِيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا حَتَّى اتَّهَى الرَّسُولُ إِلَى السَّجْدَةِ
مِنْهَا فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ :

قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ فَأَنْتَ وَذَاكُ .

وَفِي رَوَايَةٍ فَلِمَا بَلَغَ قَوْلَهُ تَعَالَى «إِنَّ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذِرْتُكُمْ صَاعِقَةً
مِثْلُ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثِمْرَادٍ» .

قَالَ حَتِّيَّةُ : حَسِيبُكَ حَسِيبُكَ ، وَأَمْسِكْ عَلَيْهِ وَنَأْشِدْهُ بِالرَّحْمِ ، ثُمَّ رَجَعَ
إِلَى أَحْصَابِهِ ، فَقَالَ بِعِظَمِهِ لِعَصْنِي :

خَلَفَ بِاقْهَ لَقْدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ .

فَلِمَا جَلَسَ ، قَالُوا مَا وَرَاءَكَ ، قَالَ :

وَرَأَيْتُ أَنِّي سَمِعْتُ قَوْلًا وَاقْهَ مَا سَمِعْتُ مَثْلَهُ قَطْ ، وَاقْهَ مَاهُرُ بِالسَّمْرِ
وَلَا بِالشَّعْرِ وَلَا بِالْكَهَانَةِ ، يَا مَعْشِرَ قَرِيشٍ أَطْيَمُونَ وَاجْعَلُوهَا هَانِي ، خَلُوَا
بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَاهُرِ فِيهِ ، فَاعْتَزِلُوهُ فَوَاقْهَ لِيَكُونُ لِقَوْلَهُ الَّذِي سَمِعْتُ
نَبَأً ، إِنَّ تَصْبِهِ الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، وَإِنْ يَظْهُرَ عَلَى الْعَرَبِ فَلَكُمْ
مَلَكُكُمْ ، وَعَزْرُهُ عَزْكُمْ ، وَكَيْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ .

قالوا : سحرك واقه يا أبا الوليد بلسانه .
قال : هذا رأي فيه فأصنعوا ما بدا لكم ... (١) .

هذا وحيث كانت رسالة الإسلام خاتمة لطاف الوسالات الإلهية .
وعامة بجميع الأزمنة والأمكنة ، وخالدة إلى أن يوث الله الأرض ومن
عليها — فقد ارتكت على التفكير العلمي وأشادت بالعقل إذ هو أعدل
الأشياء قسمة بين البشر ، ولقد بدأ القرآن بتلك الإشراقة الأولى للوحي .
في قوله سبحانه « أقرأ باسم ربك الذي خلق ». خلق الإنسان من علق .
أقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم » .

هذه الإشراقة الأولى أرشدت إلى بداية الطريق العلمي وهو الأمر
بالقراءة والكتابة في قوله « أقرأ » فإن القراءة تستلزم مقووماً
أى مكتوباً .

ثم يينت القانون العام الذى يحكم الطريق وهو أن يسلك باسم الله
واهب الملك والملائكة ، ثم الحت إلى أن يكون العلم بحثاً عن حقائق
الأشياء ، ورمت لتلك بالعلق الذى هو أحد أنظوار الجنين فى رحم أمه ،
وبقوله « مالم يعلم » من مكنونات نواميس الأرض والسماء .

وحين اشتد عناد المشركين للدعوة الإسلامية نزل القرآن يقول :
« قل إنما أعظمكم بوحدة أن تقوموا له مثني وفرادي ثم تتفكروا ،
ما ب أصحابكم من جنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي حذاب شديد » (٢) .
وتحول هذه الآية الكريمة يقول الإمام الزمخشرى :

والمعنى إنما أعظمكم بوحدة إن فعلتموها أصيتم الحق ، وهي أن تقووا

(١) السيرة النبوية لأبي هشام ج ١ ص ٢٩٣ ط الباجي الحلبي سنة ١٩٥٥

(٢) سبأ ٤٦

لوجه الله خالصاً متفرقين اثنين، وواحداً واحداً، ثم تتفكر وافي أمر محمد ﷺ وما جاء به، أما الأثنان فيتذكران ويعرضن كل واحد منها حضوره فكره على صاحبه وينظرون فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباعه، ولا يذهب لهما عرق عصبية، حتى يحجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسلنه.

وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكبرها، ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء وبخارى أحواهم.

والذى أوجب تفرقهم من وفراهم أن الاجتماع بما يشوش الخواطر، ويعمى البصار، وينعن من الروية، ويختلط القول، ومع ذلك يقل الإنفاق ويكثر الاعتساف، ويثير عجاج التصبب، ولا يسمع إلا نصرة المذهب.

وأرائهم قوله «ما يصاحبكم من جنة، أن هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعاً لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان:

إما مجنون لا يبال باقتضاه إذا طولب بالبرهان فمحجز بل لا يدرى ما الاقتضاح وما رقبة العواقب.

وإما عاقل راجح العقل، مرشح للنبوة، مختار من أهل الدنيا لا يدعي إلا بعد سخطه عنده بمحاجته وبرهانه، وإلا فما يجدى على العاقل دعوى شيء لا يثبت له عليه.

وقد علمت أن محمد ﷺ ما به جنة بل علمته أرجح قريش عقلاً، وأرذهم علماً، وأنقيهم ذهناً، وأصلهم رأياً، وأصدقهم قولًا، وأنزهمهم نفساً، وأجههم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به^(١).

ولعل هذا الفرق بين المعجزة المقلية لسیدنا محمد ﷺ والمعجزات
الحسية لباقي الانبياء هو ما أشار إليه المصطفى الکريم عندما قال - كافى
الحاديث المتفق عليه - ما من الانبياء من نبى إلا وقد أعطى من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر ولأنما كان الذي أوتيته وحيًا أو حماه الله إلى ، فأنجو
أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيمة ، .

أصول التفكير

من هذا المنطلق أوصى القرآن قواعد البحث وأصول التفكير على النحو التالي :

١ - حرر العقل من رواسب التقليد وعادات البيئة فقال «وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من ذيর إلا قال مترفوها إينا وجدنا آباءنا على أمة وإنما على آثارهم مقتدون»^(١).

٢ - نهى على أتباع الظن والهوى والاسترسال مع الباطل، فقال «وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن، وإن الظن لا يقى من الحق شيئاً»^(٢).

٣ - أرشد إلى العناية بحواس الإنسان والحفاظ على سلامته استخدامها، فقال «ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أو تلك كان عنه مشغولاً»^(٣).

٤ - أمر بالبحث في ظواهر الطبيعة ونوميس الكون فقال :

«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنيل، والفقيل التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأشحابه الأرض بعد موتها، وبه فيها من كل ذلة، وتصريف الرياح والسماء المسخر بين السماء والأرض من آيات لقوم يعقولون»^(٤).

٥ - لفت النظر إلى قوانين الاجتماع وسنة الله فيما شمل من الأمم

(٢) النجم ٢٨.

(٤) البقرة ٦٤.

(١) الزخرف ٢٣.

(٣) الإسراء ٣٦.

وأكيد استمرارها، فقال «قد خلت من قبلكم سن فسيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين»، هذا بيان للناس وهدى وموحة
للتيقين^(١).

وحرصا على هذه الأصول قرر القرآن عقائد الإيمان كلها مدعمة
باللحجة والبرهان، وليس به قضية بلا دليل أو دعوى بلا بينة، حتى في
باب الأدب الخلقي فقال «ادفع بالتي هي أحسن فإذا [الذي] يبنك ويبنه
عداؤه كأنه ول حميم»^(٢).

والشعار الذي رفعه القرآن في حجاجه مع المخالفين هو :

«قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا»^(٣).

«قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»^(٤).

إن القرآن المجيد قد أحصى المجال الذي دار على عبد النبوة إحصاء
دقيقاً، وفصل الشبهات تفصيلاً كاملاً في الألوهية والوحدانية، والنبوة
والرسالة، والبعث والنشور، وأردفها بالدليل والبرهان، وجعل القاريء
الكريم إلا أن يفتح المصحف الشريف حيث شاء ليجد صدق ما نقول.

وهذه نماذج لبعض عقائد المخالفين وكيف دفعها القرآن، أسوتها —
كما وردت آيات بینات :

بالنسبة للدهريين الذين كفروا بلقاء الآخرة و قالوا :

«هياهات هياهات لما توعدون إن هي إلا حياتنا الدنيا ثموت ونحيها
وما نحن ببمعوثين»^(٥).

(١) آل عمران ١٣٧

(٢) فصلات ٣٤

(٣) الأنعام ١٤٨

(٤) التل ٦٤

(٥) المؤمنون ٣٦

الرد :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُّخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لَّذِينَ لَمْ
يَرَوْا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءَ إِلَى أَجْلِ مَسْمِيٍّ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طَفْلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشْدُوكُمْ، وَمِنْكُمْ
مَنْ يَتَوَفَّ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرْدَى إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكِيلًا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ شَيْءٍ، وَتَرَى
الْأَرْضَ هَامَدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
بَحْرٍ » ^(١).

وبالنسبة للشركين القائلين :

« أَجْعَلُ الْآلَمَةَ إِلَيْهَا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشِيءٌ عَجَابٌ » ^(٢).

الرد :

« لَمْ يَكُنْ فِيهَا آلَمَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَفَسَدَهَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصْفُونَ » ^(٣).

« وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْنَ لَذَهَبٍ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ، وَلَعْلًا بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْفُونَ » ^(٤).

وبالنسبة للنصارى القائلين :

« إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مُرْيَمٍ » ^(٥).

« إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ » ^(٦).

(٢) ص الآية ٩

(٤) المؤمنون الآية ٩١

(٦) المائدة الآية ٧٣

(١) الحج الآية ٩

(٢) الأنبياء الآية ٢٢

(٥) المسددة الآية ٧٢

الرد :

«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فیكون»^(١).

«ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام، أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنني يوفكرون، قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفجا، وآله هو السميع العليم»^(٢).

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩

(٢) سورة المائدة الآية ٧٥

المعرفة والتقليد

تأسيا على القواعد السابقة اتفقت كلية جم و المسلمين على أن عقائد الإسلام في الألوهية والشبوة يجب العلم بها والبحث فيها ببرهان ثودليل قاطع، للوصول إلى اعتقاد جازم مطابق الواقع.

ولما كانت الأدلة التفصيلية ورد الشبهات لا تنتصر لكافحة الناس قالوا إن المعرفة الإيجالية واجبة على كل مكلف بمعنى أن يسأل المؤمن عن دليله على وجود الله فيقول : هذا العالم أو خروج هذا النبات أو وجود الإنسان .

ويكتفى بذلك من غير بيان ل دقائق الصنع وغرائب التدبير ، ومنه غير مقدرة على دفع ما يشير الخصوم .

وإذا كان الإنسان أهلا للنظر والبحث العلمي وجب عليه تفصيلا معرفة ما يحب وما يجوز وما يستحيل في جانب الألوهية والرسالة .

وهناك بحث طريف بين علماء التوحيد عن أول واجب على المكلف .

وجلة الآقوال اثنا عشر حكاما الإمام الباجوري في حاشيته هي :

أولها : ما قاله الأشعري إمام هذا الفن أنه المعرفة .

ثانيها : ما قاله الأستاذ أبو الحسن الأسفرايني أنه النظر الموصى للمعرفة ويعزى للأشعري أيضا .

وثالثها : ما قاله القاضي الباقلاني أنه أوله النظر أي المقدمة الأولى منه نحو قوله « العالم بخلاف بكل جادث بلا بد له من حدث » فمجموع المقدمتين هو النظر ، والمقدمة الأولى هي أول النظر .

رابعها : ما قاله إمام الحرمين أنه القصد إلى النظر أى تفريغ القلب عن الشواغل . وعزى للقاضى أيضا .

خامسها : ما قاله بعضهم أنه التقليد^(١) .

سادسها : أنه النطق بالشماتتين .

سابعها : ما قاله أبو هاشم في طائفته من المعتزلة وغيرهم أنه الشك . ورد بأنه مطلوب ذواله لأن الشك في شيء من العقائد كفر فلا يكون مطلوبًا حصوله .

ولعلمهم أرادوا ترديد الفكر فينول إلى النظر .

ثامنها : أنه الإيمان .

تاسعها : أنه الإسلام .

وهذان القولان متقاربان ، مردودان باحتياج كل من الإيمان والإسلام للمعرفة .

عاشرها : اعتقاد وجوب النظر .

حادي عشر : أنه وظيفة الوقت كمبلاة ضاق وقتها فتقدم^(٢) .

(١) ليس معناه الاكتفاء بالتقليد بل هو يريد مقدمة للحق ثم يتحتم عليه معرفة الدليل ، فالخلاف هنا في أول واجب فقط .

(٢) فقد يكون النظر أو النطق أو المعرفة حسب طبيعة الموقف ، فمن يريد أن يعصم نفسه وما له فالنطق مقدم ، ومن يريد أن يختار دينه فالنظر مقدم ، ومن أرتكبنا فالمعرفة مقدمة لأنها الاعتقاد الجازم المطابق ل الواقع عن دليل . زهكذا كمن أخر أدلة ثلاثة ظهوراً مثلاً حتى قارب وقت العصر ، فأول واجب عليه هو أداء صلاة الظهر ، وهي مقدمة على التي مضى وقتها .

ثاني عشر : أنه المعرفة أو التقليد أى أحدهما لا يعنيه ، فيكون خيراً
يذهبما .

ثم قال الإمام الياجورى : « والأصح أن أول واجب مقصداً المعرفة ،
وأول واجب وسيلة قريبة النظر ، ووسيلة بعيدة القصد إلى النظر ، وبهذا
يجتمع بين الأقوال الثلاثة » .

هذا وقد أجمع العلماء على نقصان إيمان المقلد الذى يومن بإيماناً جازماً
بالحق في الإله والنبي دون معرفة دليل تفصيلي ولا إجمالى ، لأن القرآن
يقول : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ^(١) .

وغالى بعضهم فزعم أنه لا نجاة معه وأن المقلد كافر لأن المعرفة
واجبة وحجب الأصول ، وأن الأمر القرآني صريح بالعلم وليس بالإيمان
وحده ، قال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » ^(٢) .

وقد يتساءل إنسان ويقول :

دع عنك هذا التشدد ، ولسنا في حاجة إلى كل هذه التعقيدات فإن
دين الله يسر ، وغاية جهدنا أن نصل إلى إيمان لإيمان العوام ، وقد كان
صحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقلدين لا شأن لهم بدليل أو برهان ، وما عالم الرسول
أحداً دليلاً على وجود الله .

وأقول : رويدك يا أخي .. ١١٠

إن الأعرابي في بادئته لا يضارعه الآن من يحمل أعلى الشهادات في
اللغة والأدب ، هذا الأعرابي قال في جاهليته : البعرة تدل على البعير ،
والأثر يدل على المسير ، فسيه ذات أبراج ، وأرض ذات خجاج ، وبخار
ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على العليم الخير .

(٢) سورة الزمر الآية ١٩

(١) سورة الزمر الآية ٩

كذلك سيد هذا الأعرابي للقرآن المجيد قبل أن يؤمن ، وحرف أمراته البلاغية وإيجازه البياني .

هذا العقل الفطري تلقى هدایات القرآن فآمن بها عن اقتناع ، فهذا الأمين محمد ما عرف عنه كذب ، وهذه الأصنام لا تضر ولا تنفع ، وهذه الكواكب الساهرة لابد لها من مكوّب ، والدين الذي جاء به محمد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، كما قال جعفر بن أبي طالب لنجاشي الجشة :

أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأى كل المية ونأى الفواحش ونقطع الرحم ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف .. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأماته وعفافه ، فدعانا إلى الله - عز وجل - لنوحده ونبعده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباونا من دون الله من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والسماء ، ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقدف المحسنة ، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً - وأنخذ يعدد أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ...^(١).

هكذا تكلم جعفر بن أبي طالب في صدر الإسلام يوم هاجر المسلمين إلى المدينة ، ولا أظن إنساناً أسلم أمام المصطفى عليه السلام إلا وتعقل هذه المعانى كالماء .

إن الإسلام يوم دعا الناس في مكة إلى عقائد لم يكن لديه مغريات مادية ، فالحق وحده له سناؤه وصوّلته ، بل لقد رفض منطق المساومة

(١) السيرة النبوية لابن هشام - ١ ص ٣٣٦

وتحطى موقف الترغيب المادي السخلي، والتحني التاريخي وهو يستمع لسيدنا محمد ﷺ قائلاً: واقه ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

وحين حاولت أم سعد بن أبي وقاص صرف فلانة كبدتها عن هذا الدين الجديد وأضررت عن الطعام والشراب كي تموت صبراً، ويعير بها قولهما إن لم يرجع ، قال لها بلسان المؤمن على بصيرة : واقه يا أماه لو كانت لك مائة نفس شفرجت نفساً نفساً ما تركت ديني هذا ، فشكلي أو لا أنا كاي .

ولقد ذاق المسلمون ألوان الأذى وصنوف الاضطهاد، إبتداء من التعذيب الفردي، إلى الحصار الاقتصادي بجماعة المؤمنين مدة ثلاثة سنين في شعب بالجبل أكلوا خلالمها أوراق الأشجار ، فما ونهن ما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا بل صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فهل كان ذلك كله ناشئاً عن تقديرات أخرى وانسياق مجرد وارتجال ساذج ١٥

سبحانك هذا بہتان عظيم .

لقد رفض القرآن منطق الإكراه في الدين فالإكراه لا يغير ما استقر عليه القلب من إيمان أو كفر، فمن أكره على الإيمان فهو كافر، ومن أكره على الكفر فهو مؤمن ، قال الله تعالى : « من كفر باقه من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرآ فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » (١) .

وكذلك رفض القرآن إيمان الإلحاد والاضطرار دون وعي وبصيرة وذلك عندما تعمت المشركون وألغوا عقوتهم :

(١) سورة النحل الآية ١٠٦

«وقالوا إن تؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض يدوعاً، أو تكون في ذلك جنة من خليل وذهب فتفجّر الأنهار خلالها تفجّر آباء، أو تسقط السماوات كذا زعمت علينا كسفنا، أو تأتي باقة الملائكة قيلاً، أو يكون لك بيت من ذخرف أو ترقى في السماوات، وإن تؤمن لورقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه»^(١).

وفي رفض منطق الإلحاد يعلل القرآن المجيد هذا الرفض بعدة أمور منها :

أولاً : أن النبوة في حقيقتها اصطفاء من الله وتكليف لعبدته في تبليغ رسالات الله وليس له من الأمر شيء وأن الله هو وحده الذي يده تصریف الأمور، وإلى هذا يشير قوله تعالى : «قل سبحان ربِّي هل كنت إلا بشراً رسولًا»^(٢).

ثانياً : أن الرسالة الخاتمة التي بعث بها سيدنا محمد ﷺ تناطح العقل الواشد الذي تمرس على مدى الأجيال، ووعي عبرة القرون والتاريخ، وفي ذلك يقول القرآن : «وما منّا منّا نزّلناه إلا أنّ كذب بهما الأولون وآتينا ثُمودَ الناقة مبشرة فظلوها بها، وما نزّلناه إلا تخويفاً»^(٣).

ثالثاً : أن الإيمان المعتبر شرعاً هو الإيمان الاختياري القائم على الحجة وليس إيمان المذهبة أو الاستهواه.

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى : «لعلك باخْرَ نفْسَكَ أَن لا يَكُون مُؤْمِنُكَ، إِن نَشَأْ نَزُولُ عَلَيْكَمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ آيَةً فَظَلَّتْ أَهْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ»^(٤).

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٣

(١) سورة الإسراء الآية ٩٠

(٤) سورة الشورى الآية ٣

(٣) سورة الشورى الآية ٥٩

وَمَا لَا شَكَ فِيهِ أَن الصَّحَابَةَ جَمِيعاً تَلَقَّوْا الْقُرْآنَ مِنْ فِيمْ رَسُولِ اللَّهِ
وَعَقْلُهُ، وَأَدْرَكُوا مَقَاصِدَهُ وَهُمُ الَّذِينَ شَاهَدُوا النَّبِيَّةَ فِي لَالَّا هُمْ
وَمَا يَنْوَى الْمَعْجَزَاتُ وَسَارُوا الْوَحْىَ فِي تَشْرِيعِهِ، وَلَمْسُوا الْحَقِيقَةَ عَنْ قُربٍ،
وَلَدَلِكَ كَانُوا سَخِيرَ الْقَرْوَنَ ۚ

يقول ابن العربي - كما نقله في العقيدة الصغرى للسنوسى :

اعلموا - علمكم الله - أن هذا العلم المكلَف به لا يحصل ضرورة^(١)
ولا إماما^(٢) ، ولا يصح التقليد فيه^(٣) ، ولا يجوز أن يكون الخبر^(٤)
طريقاً إليه ، وإنما الطريق إليه النظر ، ورومه^(٥) أنه الفكر المرتب في
النفس ، على طريق يفضي إلى العلم أو الظن ، يطلب به من قام به علماء في
العلميات^(٦) أو غلبة ظن في المظنو نات^(٧) .

ولو كان هذا العلم يحصل ضرورة لأدرك ذلك جميع العقلاة ، أو إماما
لو ضم الله تعالى ذلك في قلب كل حى ليتحقق به التكليف ، وأيضاً فإن
الإمام نوع ضرورة وقد أبطلنا الضرورة^(٨) .

(١) بلا نظر واستدلال.

(٢) الإمام إلقاء الله شيئاً من الخير في القلب بطريق الفيض.

(٣) التقليد الأخذ بقول الغير بلا معرفة للدليل.

(٤) الخبر هو النص الشرعي من الكتاب والسنة والمراد ما عدا
السمعيات التي طرية لها التلق عن المعصوم بما لا مجال للاجتهاد فيها.

(٥) رسمه أي رسم النظر وتعريفه.

(٦) العلميات أي العقائد.

(٧) المظنو نات مسائل الفروع الفقهية.

(٨) في قوله : « ولو كان هذا العلم يحصل ضرورة لأدرك ذلك
جميع العقلاة » .

(٩ - التهديد)

ولا يصح أن يقال إنه تعالى يعلم بالتقليد - كما قال جماعة من المبتدعة -
لأنه لو عرف بالتقليد لما كان قوله واحداً من المقلدين^(١)، أولى بالاتباع
والانقياد إليه من الآخر، كيف وأقوالهم متضادة و مختلفة .

ولا يجوز أيضاً أن يقال إنه يعلم بالخبر لأن من لم يعلم الله تعالى كيف
يعلم أن الخبر خبره .

فثبت أن طريقه النظر ، وهو أول واجب على المكلف ، إذ المعرفة
أول الواجبات ولا تحصل إلا به ، فبضرورة تقديمه عليها ثبت له صفة
الوجوب قبلها ، وإيجاب المعرفة بالله معلوم من دين الأمة ضرورة ..
١ . ه^(٢) .

(١) المقلدين بفتح الدال - اسم مفعول .

(٢) حاشية على شرح أم البراهين ، تأليف محمد بن أحمد بن عرفة
الحسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ وبهامشة شرح أم البراهين لمحمد بن يوسف
الستوسي الحصيني ص ٥٨ مطبعة الحلبي سنة ١٣٩٥ - ١٣٥٨ .

مصادر العقيدة

العقيدة هي التي تتعلق بقضايا الوجود الكبرى في الذات الإلهية والنبوة والبعث ، والتي يتوقف عليها الإيمان والكفر ، فمن أيقن بها وصدق وأذعن فهو المؤمن ومن أنكر وكذب وارتقا به فهو الكافر ..

هذه العقيدة يحكمها العقل ويصحح مسارها الوحي مثلاً في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة ..

العقل :

إن العقيدة — في المقام الأول — عقل ، وما لم تكن عقلاً فليست بدين صحيح ، والذين يطمسون معالم العقل في العقيدة إنما يفتحون أبواباً للشيطان، تسوّل لهم إلى الوثنيات والشرارات والكهنوت الأسود والطلاسم العيام ..

فالعقل هو مناط التكليف الشرعي ، وإذا سلب الله ما وهم به من العقل سقط ما وجب من الشرع ، ولا دين لمن لا عقل له .. إن العقل وحده هو الذي يثبت وجود الله تعالى وكماله اللاقى بذاته المقدسة ..

وإن العقل وحده هو الذي يثبت الوحي والاصطفاء للأنبياء بدلالة المعجزة ، فما لم تكن معجزة يقر بها العقل فلا نبوة ..

والذين يجعلون الأخلاق العظيمة والأحوال النبوية للأنبياء بدليلاً عن منطق العقل واهمون . فليس كل صاحب خلق يكون نبياً .. وإن العقل هو الذي يقدم دليل الجواز والإمكان لما وراء الطبيعة من أمور البعث ، ولو كانت منافية لمقتضى العقول ما كاف الله بها البشر ، وما قبلها العقل ..

القرآن :

نحن لأنّه العقل ولا ننفعه أكثر عما هيأه الله له ، بل نضعه في موضعه الصحيح ، ولا نقول إن العقل يستقبل بالعقيدة كلها بل يحتاج إلى نور الوحي عثلا في القرآن الكريم ليقدم للإنسان الصورة الصحيحة للوجود الإلهي الأعلى وأسماء الله الحسنى وصفاته المقدسة ، وليرشدء إلى المنهج في عبادة الحق ومعاملة الخلق ..

وليفصح له عن المستقبل والمصير الإنساني في البعث والمحشر والحساب .
والجزاء ..

وليفصل القهص الحق عن تاريخ الأنبياء وأصول رسالتهم ومناهج دعوتهم ..

والقرآن قطعى الشبهات متواتر ، محفوظ بعناية الله جيلا بعد جيل
إلى أن يرى الله الأرض ومن عليها تحقيقاً للوعد الإلهي ، إنا نحن نزلنا
الذكر وإننا له لحافظون ،^(١) ..

لَكُنْ معانِي القرآن قد تكون قطعية وقد تكون ظنية ، فما كان
قطعى الدلالة فهو عقيدة يترتب عليها الإيمان والكفر ، مثل قوله تعالى
« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » ،
وما كان ظنى الدلالة فليس بعقيدة حتمية بل يجوز حولها الاستجتاد وذلك
كالصفات الخبرية التي جاءت في آيات التنزيل الحكيم مثل قوله تعالى
« الرحمن على العرش استوى »^(٢) وقوله جل شأنه « فإنك بأعيننا »^(٣) ..

(١) سورة الحجر — الآية ٩

(٢) طه — الآية ٥

(٣) الطور — الآية ٤٨

فهذه الآيات وأمثالها وإن كانت قطعية الثبوت غير أن دلالتها ظنية.

السنة :

تعد السنة النبوية مصدراً من مصادر العقيدة إلا أن مرتبتها بعد القرآن المجيد، لأن أغلبها أحاديث آحاد لم تبلغ مبلغ التواتر ..

وجمهور العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد القطع ولذا يجب العمل بها في العبادات والمعاملات لأنه يكتفى فيها بالظن الغالب ..

أما المقادير في الإلهيات والنبوات والسمعيات فلا يترب حلي ما يثبت بالسنة إيمان أو كفر، لأنها ظنية الثبوت حتى ولو كانت قطعية الدلالة ..

فإن تطرق الظن للثبوت أو الدلالة يرفع اليقين، فلا يصبح الأمر ثابت بالظن عقيدة يتحم الالتزام به، وتصدر على أساس منه أحكام الإيمان والكفر ..

وقد نهى الله تعالى أشد النهي عن اتباع الظن في المقادير فقال: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَاحِ إِذَا سَمِيَّ مَا تَمَّ وَمَا أَبَقُوكُمْ مَا أَنْزَلْتُكُمْ إِنَّهُ مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّهُ مِنْ يَتَبعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا تَهْوِي الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدِيَّ»^(١).

وتوعد المؤلِّ سبعانه أصحاب العقائد الواهمة بالحزى في الدنيا والنکال في الآخرة فقال: «وَمَنِ الْأَنْسَى مِنْ إِنْ يَجَادِلَ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مِنْ يَرِيْ ، ثَانِي عَطْفَهُ ، لِيُضْلَلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، لَهُ فِي الدُّنْيَا حُزْنٌ وَنَذِيقَهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ»^(٢).

(١) سورة النجم - الآية ٢٣

(٢) سورة الحج - الآية ٩٠، ٨

وينبغي العلم بأن التوقف في قبول خبر الآحاد ليس ردًا للحديث
رسول الله ﷺ، وإنما هو توقف في نسبته إلى الرسول الكريم ،

وقد تعلمنا في مصطلح الحديث أن معنى الحديث الصحيح هو ما يتصل
بتنته بالعدول الصابطين من غير شذوذ ولا علة ، وليس مراداً به القطع
واليقين بصدوره عن رسول الله ﷺ فقد يكذب الصدوق .. وأن معنى
الحديث المردود هو ما لم يتصل بتنته بالعدول الصابطين ... أى وليس
مراداً به القطع واليقين بعدم صدوره عن الرسول ﷺ فقد يصدق
الكذوب^(١) ..

ومن هنا فلا محل لقول القائل :

« والعاقل يعلم أن الرسول مخصوص في خبره عن آله تعالى ، لا يجوز
عليه الخطأ ، فيجب عليه التسليم له والانقياد لأمره ، وقد علينا بالاضطرار
من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول : هذا القرآن الذي تلقيه علينا
والحكمة التي جئتنا بها قد تضمن كل منها أشياء كثيرة تناقض ما علمناه
بعقولنا ، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا ، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع
أن عقولنا تناقض ذلك لكان قد حان فيها علمنا به صدقك . فتحزن نعتقد
وجب العقول الناقضة لما ظهر من كلامك ، وكلامك نعرض عنه ،
لا تتلق منه هدية ولا علماء ..

لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ، ولم يرض منه
الرسول بهذا .

بل يعلم أن هذا لوساخ لما أمكن كل أحد أن يؤمن بشيء مما جاء به

(١) راجع تدوين الرواوى في شرح تقرير النواوى للإمام السيوطى ،
تحقيق د. عبد الوهاب عبد اللطيف ج ١ ص ٧٥ ط الثانية سنة ١٢٨٥ -
١٩٦٦ م دار الكتب المحمدية

الرسول ، إذ العقول متفاوتة ، والشبهات كثيرة ، والشياطين لا تزال تلقي الوساوس في النفوس ، فيتمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به ^(١) .

هذا الكلام فيه مغالطة ، لأنه لا أحد يطعن في عصمة الرسول عليه السلام ولا في صدق خبره وإنما كان مسلماً أصلاً ، وإنما المسألة كلها في إثبات الحديث ونسبته إلى الرسول ..

والظن ليس في قول الرسول وإنما الظن في نسبة القول إلى الرسول ، والفرق واضح وكبير ..

ثم إن افتئال معركة بين الشرع والعقل ليس في دين الإسلام ، فلا تناقض بين الشرع والعقل ، وصدق آفة حيث يقول « ولو كان من عند غير آفة لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » ^(٢) .

وهنالك مؤلفات كثيرة حول هذه القضية منها :

* فصل المقال فيها بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، ابن رشد (٥٩٥ - ٥٢٠) .

* درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية (٦٦١ - ٥٧٨) .

إن العلاقة بين الشرع والعقل علاقة مترابطة ، لا انفصال بينهما ، وإن الحقيقة لا تتراءى إلا بهما معاً ..

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزز الممشقي ص ٢٢٠ ط المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٩ هـ.

(٢) سورة النساء - الآية ٨٢ ، ونخن في دراستنا العقدية قبلنا خبر الواحد تغليباً لحسن الظرف ما لم يعارض قاطعاً عقلياً أو شرعاً ، ومقصودنا هو تضييق شقة الخلاف ، ومنع أحكام التكفين ، ودفعه جميع الفرق إلى الخوار ..

وقد عبر عن ذلك الإمام أبو حامد الغزالى (ت ٥٥٠ هـ) فقال :
بل الواجب المحروم في قواعد الاعتقاد ملازمة الاقتصاد ، والاعتماد
على الصراط المستقيم ، فحلا طرف في تصد الأمور ذميم ..

وأن يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الآثر والخبر ، وينكر مناهج
البحث والنظر ، أو يعلم أنه لامستند للشرع إلا قول سيد البشر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر ^{١٩} .

وكيف يهتدى للصواب من اتفق معه العقل واقتصر ، وما استضاء
بنور الشرع ولا استبصر ^{٢٠} .

فليت شعرى كيف يفرغ إلى العقل من حيث يعتريه العى والبصر ،
أولاً يعلم أن خطأ العقل فاقد وأن مجاله ضيق منحصر ^{٢١} .

مهيات قد خاب على القطع والبنات ، وتعثر بأذى الله الضلالات من لم
يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات ..

فيما العقل البصر السليم عن الآفات والأذاء ، ومثاله القرآن العظيم
المنشرة الضياء ، فأخلق بأن طالب الاهتداء ، المستغنى إذا استغنى
بأخذها عن الآخر — في غمار الأغبياء ..

فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القرآن ، مثاله المترعرض لنور
الشمس ممضا للأجهان ، فلا فرق بينه وبين العميان ..

فالعقل مع الشرع نور على نور ^(١) ..

(١) الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣٦ مكتبة صبيح سنة ١٣٨٢ هـ .

أقوال السلف :

ما وراء القرآن والسنة فآراء بشرية لأشخاص غير معصومين ،
يؤخذ منها ويرد عليها ، وقد تسمى أقوال السلف أو أقوال الصحابة
أو أقوال التابعين ..

والذين يبنون عقائدهم على هذه الأقوال يحتاجون إلى تبييه مهم ، فإن
هذه الأقوال لم تخضع لمقاييس الضبط وأصول النقل وقواعد الإسناد
إلى خضع لها الحديث الشريف ، اللهم إلا ما ندر منها ..

ومع التسليم الجدل بصحة الإسناد فإن هذه الأقوال قد تكون
منقوله عن أخبار وأخبار أهل الكتاب ، ونحن لا نصدق أهل الكتاب
ولا نكذبهم فيها لا يخالف نصوصنا الشرعية ، ونرفض مخالفتها ..

وفي صحيح البخاري قال ابن عباس رضى الله عنهما :

كيف تسألون أهل الكتاب عن شئ وكتابكم الذي أنزل على
رسول الله ﷺ أحدث ، تقرأونه حضالم يشب ، وقد حدثكم أن أهل
الكتاب بدلوا كتاب الله وغيره ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا
هـ من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا !

ألا ينكرون ما جاتكم من العلم عن مسائلهم ؟
لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

وفي البخاري أيضاً :

كان أهل الكتاب على عهد رسول الله ﷺ يقرؤون التوراة
بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال عليه الصلاة
والسلام :

لَا تَصْدِقُوا أَهْلَ الْكِتَابَ وَلَا تَكْفِرُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِآنَّهُ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ..

وقد تكون أقوال السلف آراء اجتهادية قالوها بأنفسهم، وأشكل مجتمده نصيب، وهم رجال ونحن رجال وإن كان فضليهم في السبق ونصرة الدين عند الله عظيمها ..

وقد تكون أقوالهم آراء لا يحال للاجتهد فيها، ولما حكم الرفع إلى رسول الله ﷺ، ولكنها أدنى درجة من الواقع الصريح، ومع ذلك فهي لا تخرج عن كونها أحاديث أحد لا ثبت بها عقيدة يترب عليها إيمان أو كفر ..

إن أمة الإسلام لا تقدس أحداً من البشر، وأسمى القدس من الأسماء الحسنى لله تعالى ..

ونحن نحترم السلف الصالح ونجملهم وندعو لهم التزاماً بقول الله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوكُمْ مِّنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبُّنَا أَخْفَرُ نَا وَلَا إِنَّا نَرَاهُمْ سَبِّعُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غُلَالَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبُّنَا إِنْكَ رَوْفُ رَحِيمٌ»^(١)

ورحم الله ابن مسعود حين قال :

«مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُّتَأْمِسًا فَلْيَتَأْسِ بِأَحَادِيبِ مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَهُنَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا ، وَأَعْقَبُهُمْ عَلَيْهَا ، وَأَقْلَمُهُمْ تَكْلِفًا ، وَأَقْوَمُهُمْ هَدِيَّا ، وَأَحْسَنُهُمْ حَالًا ، قَوْمًا اخْتَارُهُمْ اللَّهُ لِصَحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ ، فَاعْرُفُوا لَهُمْ فَضْلَيْهِمْ ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهُدَىِ الْمُسْتَقِيمِ»

إن التأسي بالسلف الصالحة العدة وشرف، لكن التأسي لا يعني عصمتهم ولا صحية آرائهم واجتهادهم في عقائد الدين، وإن هناك فرقاً واحجماً وجلباً بين ما هو عقيدة يجب فيها القطع واليقين، وبين ما هو عمل يكتفى فيه بغلبة الظن ورجحان الدليل ..

الحكم وأنواعه

من الأمور ذات الأهمية التي توضح تقرير العقائد في الإسلام - أن العلماء على اختلاف مشاربهم يستخدمون الحكم العقلي في قضايا العقيدة، ويحتجون بها في بحوثهم الإيمانية، فيقولون : هذا الأمر واجب ، وهذا الشيء مستحبيل ، وذاك جائز أو ممكن ..

ولولا أن للعقل أحکاماً يتفق عليها العقلاة ويلازم بها العلماء ما شاع ذلك وساغ في علم العقيدة ..

ونحن نوضح هذه المسألة على النحو التالي :

أقسام العلم :

العلم في اصطلاح المنطقين يراد به عموم الإدراك ، وهو تحصيل صورة الشيء في العقل ..

وهو قسمان : تصوير وتصديق :

(أ) التصور: هو حصول صورة الشيء في الذهن من غير حكم عليه ..
مثاله إدرا كنا للمفرد : محمد .

والمضاد : كتاب خالد

والمركب الوصفي : المندس الماهر

فالذهن يتصور شخصية محمد أو كتاب خالد أو مهارة المندس ، لكن يظل متطلعاً إلى ما تم به القاعدة ، فماذا عن محمد ؟ هل هو مسافر أو مقيم أو شجاع أو صادق ... إلخ ؟

وماذا عن كتاب خالد؟ هل هو مفيد أو ضار، أو كبير أو صغير.. لِمَ؟

وماذا عن المهندس الماهر؟ هل يحبه الناس أو يخدرمهونه أو يسألون عنه؟

(ب) التصديق: هو إسناد أمر لأمر إيجاباً أو سلباً.

مثاله: محمد رسول الله ، في حال الإيجاب
كتاب خالد لم يصل ، في حال السلب

والتصديق هو إذ عان للنسبة أي إدراك للرابط بين طرف القضية، يصل إلى التسليم والقبول، وقد يكون مطابقاً الواقع كقولنا: انتصر صلاح الدين على الصليبيين، وقد يكون خالفاً الواقع مثل: انتصر جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٧ م ..

وقد يكون التصديق ناشئاً عن دليل كقولنا: الله واحد لا شريك له.

وقد يكون مجرد تقليد كقول النصارى: الله ذو أسماء ثلاثة، وهذه القضية كاذبة مختلفة للواقع واعتقاد النصارى لما اعتقاد ناشئ عن تقليد لا دليل عليه ..

• • •

الحكم الشرعي:

هو خطاب الله تعالى المتعلق بفعل المكلف من حيث إنه مكلف ..

وأقسام الحكم الشرعي خمسة هي :

١ - الوجوب إن اقتضى الخطاب الفعل اقتضاه جازماً ..

مثل : أقيموا الصلاة ، فلأنه هنا الوجوب

٢ - الندب إن اقتضى الخطاب الفعل اقتضاء غير جازم ..

مثل : أفسوا السلام ، فالأمر هنا للندب

٣ - التحريم إن اقتضى الخطاب ترك الفعل اقتضاء جازما ..

مثل : لا تقربوا الزنا ، فالنهى هنا للتحريم

٤ - الكراهة إن اقتضى الخطاب الترك اقتداء غير جازم ..

مثل : النهى عن الصلاة في أوقات معينة أو النهى عن قراءة القرآن في
الوكوع والسجود ..

٥ - الإباحة إن اقتضى الخطاب التخيير بين الفعل والترك ..

مثل : أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ..

قال الإمام السبكي صاحب متن جمع الجواامع :
والفرض والواجب متادفان ، خلافاً لأنبياء حنيفة ، وهو لفظي .

والمندوب والمستحب والتطوع والسننة متادفة ، خلافاً لبعض
أصحابنا ، وهو لفظي ^(١) ..

فالحكم الشرعي مرتبط بالنص الديني ودلالته ، وقد قامت الشريعة
على هذه الأحكام التي فصلها علم الفقه وأصوله ..

• • •

الحكم العقلي :

هو إسناد أمر لأمر يجده أو سلباً من غير توقف على عادة أو استناد .

إلى شرع بل يمكن العقل وحده هو الفيصل في هذا الحكم ..

(١) بجموع مهارات المتون ص ٨٧ دار الكتب العلمية - بيروت

وينقسم الحكم العقلى إلى ثلاثة أنواع :

١ - الواجب : هو الموجود الذى لا يتصور العقل عدمه ..
مثل : الله عالم .

فثبتت العلم لله تعالى حكم عقلى واجب أولاً وأبداً، ولا يمكن تصور
الانفصال بين العلم والذات الإلهية .

٢ - المستحيل : هو المعدوم الذى لا يتصور العقل وجوده ..
مثل : شريك الله موجود .

فإثبات الوجود لشريك الله تعالى مستحيل ، لأن الشريك معدوم
لا يتصور العقل وجوده أولاً ولا أبداً .. والعقل حاكم بأن قدر
الآلة باطل مستحيل ..

٣ - الجائز أو الممكن : هو ما يتصور العقل وجوده تارة وعده
أخرى ..
مثل : العالم موجود .

فإثبات الوجود للعالم ممكن أو جائز ، لأن العقل يتصور العالم معدوماً
مرة و موجوداً أخرى ، فالإنسان يموت ويحيا ، والشمس تشرق وتغرب ،
والقمر يطلع ويغيب ، والنبات ينمو ويتذرّ ، والمطر ينزل وينقطع ،
والحر يشتد ويزول ، والبحر يعتريه المد والجزر ، وهكذا كل شيء في
هذا الوجود ، والذى يقبل الوجود والعدم هو الممكن أو الجائز العقلى ..

الحكم العادى :

ويدخل في الجواز العقلى الحكم العادى المبني على العادة أو التكوار ،
فما قد نسيه واجباً في العادة أو مستحيلاً في العادة هو جائز عقلاً ، يقبل
الوجود تارة والعدم أخرى ..

فإذا قلنا: النار حرقه بناء على أن العادة جرأت بأن النار تحرق ما يجاورها وتسكرر ذلك كثيراً، فهذا حكم عادى واجب، لكن هل ثبوت الإحرق للنار لأنها سبب فيه أو علة مؤثرة؟

هنا تأتي نظرية السبيبة، ويقول أهل السنة إن الفاعل هو الله وحده، ولا مؤثر في الوجود غيره، وثبتت الإحرق للنار على طريق السبيبة والعادة وهو غالباً ما يثبته الحس الظاهر من الاقتران بين الإحرق والنار.

ولذا قلنا: يستحيل رؤية من في المشرق لمن في المغرب فهذا حكم عادى يجدر تخليفه، وقد كان الأقدمون يجعلون هذه الاستحالة عقلية لكن الحس المشاهد الآن يبطل ذلك فما أكثر أجهزة التليفزيون والأقارب الصناعية التي تنقل الناس إلى مواقع الأحداث لحظة بلحظة ..

فكل ما أثبتته التجربة أو جاء به التskرار هو حكم عادى يلحق بالجائز العقلى الذى يمكن تخليفه .. وكم من تجارب أثبتتها العلماء بالأمس ونقضوها اليوم، وكم من أحكام بليت على تskرار ثم تخلفت ..

* * *

والأحكام في علم العقيدة ترتبط بالحكم العقلى بأذواجه الثلاثة من الوجوب والاستحالة والجاز، ويستخدم ذلك في مباحث العلم من الإلهيات والنبوات والسمعيات .. فيقال في الإلهيات :

يجب له تعالى كل كمال ..

ويستحيل عليه تعالى كل نقص ..

ويجوز في حقه تعالى فعل كل مسكن وتركه ..

ويقال في النبوات :

يجب للأنبياء الصدق والأمانة والتلبية والفضلاة ..

ويستحيل عليهم الكذب والخيانة والكتمان والبلاده ..
ويجوفى في سقفهم ما يجوز على سائر البشر ما لا يقدر في نبوتهم ..

ويقال في السعييات :

إن عذاب القبر ونعيمه والخسر والبعث والميزان والصراط أمور
جهازة عقلا، ورد بها النص الشرعى فيجب الإيمان بها ..

فهي أمور لا يحيطها العقل ولا يوجهها فتبيّن في دائرة الإمکان العقلی ،
إذا جاء الخبر الصادق عن المقصود بشبهتها وجب الإيمان بها فالمدار على
صدق الخبر ..

المبحث الرابع

خصائص العقيدة الإسلامية

- صوت الفطرة
- دعوة الأنبياء
- توحيد القرآن
- الدين الخالص
- آفاق عقيدة التوحيد :
 - أفق الاسم
 - أفق العلم
 - أفق الوجود
 - أفق الاجتماع
 - أفق الله كر

(٧ - التهيد)

صوت الفطرة

المقيدة الإسلامية تتلخص في كليتين اثنتين هما :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ.

وهذه المقيدة من الوضوح واليسر ، ومن العمق والحكمة ، ومن الصدق والحق ما يجعلها قسرى في كيان الإنسان سريان الدم في العروق ، وتنقلل في أعمقه فتستقر في قرار مكين من قلبه وعقله ..

فهي قضية فطرية ينادي بها الإنسان في ظلمات البر والبحر ، ويهتف بها وسط أمواج الحياة ، وترتبطه بمحЛОقات الله العديدة والعجيبة في منظومة روحية تنطق بلسان لا تؤدي حجتها :

(ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير)^(١) .

ورسالة سيدنا محمد ﷺ أوضح من الشمس في رابعة النهار ، فقد أدهى النبوة ، وأيده الله بالمعجزات ، وأجرى على يديه خوارق العادات ، واجتمع له ﷺ من شرف النسب ، وعطر السيرة ، وكرم السجايا ملا يجتمع إلا لبشر يوحى إليه ، وإنسان اصطفاه الله للنبوة ..

هذا وقد أخذت قضية الفطرة بحثاً لدى اللغويين والمناطقة وأهل العقيدة ..

(١) سورة الحج - الآية ٦٢ .

فإذا تقول اللغة؟

وماذا يرى المنطق؟

وماذا ت يريد العقيقة؟

اللغة تقول :

فطر الله الخلق، وهو فاطر السموات أى مبتدعاً ..

(وكل مولود يولد على الفطرة) أى على الجملة القاتلة لدين الحق ..

وفطر هذا البَرُّ ، وتفطرت اليد والثوب : تشقت ..

وفطر ناب البعير : طلع .

وفطرت المرأة العجین : خبزه من ساعته قبل أن يختصر ..

ووجله فطیر : لم يلق في الدباغ ..

وكلام يفطر الصوم : أى يفسده ..

ولإذا غربت الشمس فقد أفطر الصائم : أى دخل وقت الفطر ..

ومن المجاز :

لاخير في الرأي الفطير (المتسرع الذي لم يختصر ولم ينافس بروية) ..

وقتقول : وأيه فطير ولبه مستطير^(١) ..

وعلم المنطق :

يقسم القضايا إلى يقينيات وغير يقينيات ..

واليقين هو اعتقاد أن الشيء كذا اعتقاداً يقينياً مطابقاً للواقع ..

والقضايا اليقينية تقسم منطقياً إلى ضروريات ونظريات ..

(١) أساس البلاغة للإمام الراغشري ص ٦٧٦ ط دار الفكر ناطباعة ..

والنشر .

والضروري — وقد يسمى البدئي — : مالا يتوقف حصوله في
الذهن على كسب ونظر واستدلال ..

والنظري : هو الذي يحتاج إلى كسب ونظر واستدلال ..

ومن القضايا الضرورية أو البدئية — الفطريات والأوليات ..

الفطريات : هي القضايا التي يحكم فيها العقل بمجرد تصور الطرفين
بواسطة لاتغيب عن الذهن ، وتسمى قضايا قياساتها معها ، مثل : الأربعة
ذوج .

فإن من تصور الأربعة وتصور الزوجية ترتب في ذهنه قياس في
الحال هو : الأربعة منقسمة إلى متساوين ، وكل ما كان كذلك فهو زوج ،
إذن الأربعة زوج .

الأوليات : هي القضايا التي يحكم العقل بها بمجرد تصور الطرفين
بلا واسطة مثل : الكل أعظم من الجزء ، فإن من تصور الكل وتصور
الجزء حكم عقله بأن الكل أعظم من الجزء دون واسطة ، فالعقل وحده
هو الحاكم هنا^(١) ..

وبعض الباحثين يقول :

وجود الله تعالى أمر بدهى لا ينفي أن يتحدث فيه المؤمنون نفياً
أو إثباتاً ، ولا سلباً أو إيجاباً .

إن وجود الله من القضايا المسلمة التي لا توضح في الأوساط البدئية
موضع البحث لأنها فطرية ، وإن كل شخص يحاول وضعها موضع البحث

(١) تيسير القواعد المنطقية ، د . محمد شمس الدين إبراهيم ص ٢٦٧

إنما هو شخص في إيمانه دخل ، وفي دينه انحراف ، فما خفي أله فقط حتى يحتاج إلى أن يثبته البشر ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ..

ومن المعروف أن الدين الإسلامي لم يجئ بإنبيات وجود الله وإنما جاء لتوحيد الله ، وإذا تصفحت القرآن أو التوراة حتى على وضعها الحال ، أو الإنجيل حتى في وضعه الراهن ، فإنك لا تجد أن مسألة وجود الله قد اتخذت في أي سفر منها مكانة تجعلها هدفًا من الأهداف الدينية ، أو احتلت مكانًا يشعر بأنها من مقاصد الرسالة السماوية ..

والقرآن الكريم يتحدث عن بداهة وجود الله حتى عند ذوى العقائد المترفة ، يقول سبحانه . « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله »^(١) .

لهم يقولون إن الخالق هو الله ، مع أنهم مشركون أو منحرفون بوجه من الوجوه في إيمانهم باقه تعالى ، وما نزلت الأديان قط بإنبيات وجود الله وإنما نزلت لتصحيح الاعتقاد في الله أو لتصحيح طريقه التوحيد .. أما الآيات الكثيرة التي يظن بعض الناس أنها نزلت بإنبيات الوجود فليس من ذلك قليل ولا في كثير ، إنها تبين عظمة الله وجلاله وكريمه وهيمنته الكلمة على العالم ، ما عظم من أمره ودق منه ، لا تفوت هيمنته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يخرج عن سلطانه مادق وما جل ،^(٢) .

(١) سورة لقمان الآية ٢٥.

(٢) الإسلام والعقل – د. عبد الحليم محمود ص ٩٦ ط دار الكتب الحديثة .

وهذا المعنى بعينه هو ما ذهب إليه أنصار الاتجاه السلفي فيدرى شارح الطحاوية ابن أبي العز المدمشق أن الشرك في الروبية معلوم الامتناع عند الناس كلهم ، وأن توحيد الروبية لم يذهب إلى نقشه طائفه معروفة من بنى آدم^(١) .

ونحن نقول :

إن قضية وجود الله تعالى قضية فطرية بمعنى وضوح الأدلة وكثرة الشواهد واتساع آيات الأنفس والأفاق .. ومتي خلص العقل من شوائب التقليد وعادات البيئة السيئة ورواسب التفكير المنحرف – وصل إلى حقيقة الحقائق « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير »^(٢) .

ولا يمكن بحاله من الأحوال أن ترفض الاستدلال على قضية وجود الله تعالى ، ونضم آذانا وأسماعنا عن شبهات المشركين في كل زمان ومكان ، الذين يرفضون الوجود الإلهي الأعلى .. فإذا نفعل مع ملايين البشر قديماً وحديثاً من المهريين والملحدة والشيوخين وأصحاب المذاهب المدamaة^{١٤} .

وإذا كان القرآن المجيد قد تحدث عن اعتقاد المشركين بخلق الله تعالى للسموات والأرض في مثل قوله جل جلاله : « ولئن سألكم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، فهذا ليس عاماً ، فهو حديث عن جماعة من المؤمنين ، عبدوا الأصنام زلقي إلى الله ، فوقعوا في التناقض حين أقروا الله تعالى بالخلق وتوجهوا لغيره بالعبادة ، فالقرآن يخاطب كل ملة ونحلة بما يدحض اعتقادها .

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧، ٨٥ ط المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٩ هـ

(٢) سورة الحج – الآية ٦٢

وإذا كان القرآن قد تحدث عن اتخاذه ولدًا فهل معنى ذلك أن كل الناس يتخدونه أولاً؟^{١٩}

وإذا كان القرآن قد تحدث عن عبدة الكواكب فهل يفهم من ذلك أن كل الناس عبدوا الكواكب^{٢٠}

وإذا كان القرآن قد تحدث عن رفض النبوة للبشر فهل يعني ذلك أن كل الناس يرفضون بشرية الآنبياء؟

إن لكل حديث مجاله، ولكل اتجاه مابينه، ولا يجوز أن يخرج الكلام عن ميادنه ومراميه.

لقد أشار القرآن إلى مذاهب منحرفة تجادل في الله بغير علم وتقسّر الوجود الإلهي الأقدس، فقال الله تعالى:

«ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم، قوم نوح، وعاد وثمود، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله، جاءتهم رسالهم بالبيانات فردو أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلت به، وإنما لئن شئت ما تدعونا إلى مريب، قالت رسالهم أفي أنت شئت فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى»^{٢١}.

قالوا إن أنت إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدّونا بما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين»^(١).

نفّ هذا النص الكريم تأكيد أن أمّا كثيرة رفضت دعوة الآنبياء وشكوا في وجود الله تعالى وأعلنوا رأيهم ذلك. وواجههم الآنبياء بوضوح الأدلة ولفتوا عقولهم إلى آيات الانفس والأفاق العلة

(١) سورة إبراهيم – الآية ٩ : ١٠

على حتمية وجود الله تعالى وربويته للكون والكائنات واستحقاقه للعبادة .

وحكى القرآن المجيد مقالة فرعون :

« قال : فن ربنا يا موسى ؟ »

قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقته ثم هدى .

قال : فما بال القرون الأولى ؟

قال : علمها عند رب في كتاب ، لا يضل رب ولا ينسى ، الذي جعل السُّكُنَ الأرض مهدًا وسلكَ لِسْكُمَ فيها سبلًا ، وأنزلَ من السماء ماء ، فأخرجنا به أزواجاً من نبات شيء ، (١) .

ويتعلق الإمام الرازى على هذه المخاورة قائلاً :

إن فرعون كان شديد القوة ، عظيم الغلبة ، كثير العسكر ، ثم إن موسى عليه السلام لما دعاه إلى الله تعالى لم يستغل معه بالبطش والإيذاء بل خرجم معه في المعاشرة لما أنه لو شرع أولاً في الإيذاء لنسب إلى التهمل والسفاهة فاستنكف من ذلك ، وشرع أولاً في المعاشرة وذلك يدل على أن السفاهة من غير الحجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك بن يدعى الإسلام والعلم ؟

ثم إن فرعون لما سأله موسى عليه السلام عن ذلك قبل موسى ذلك السؤال واشتعلت بإقامة الدلالة على وجود الصانع ، وذلك يدل على فساد التقليد ، ويدل أيضاً على فساد قول التعليمية الذين يقولون مستفيدين معرفة الإله من قوله الرسول ، لأن موسى عليه السلام اعترف هنا بأن معرفة الله تعالى يجب أن تكون مقدمة على معرفة الرسول ،

(١) سورة طه — الآيات ٤٩ : ٥٣

وتدل على فساد قول المتشوّهين الذين يقولون نستفيد معرفة الله والدين من الكتاب والسنة^(١).

وحكى القرآن مقالة الدهريين الذين ينكرون وجود الله تعالى ، ويدهبون إلى المقالة المنسكورة : ما هي إلا بطون تدفع وأرض تبلغ ، هكذا كان في الأول وهكذا يكون في الآخر ، بلا إله خالق وبلا موعد منظور للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « و قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيانا وما يهمكنا إلا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، إنهم لا يظنو ، وإذا قتلت عليهم آياتنا يبنات ما كان حجتهم إلا أن قالوا أتوا بآياتنا إن كنتم صادقين . قل إله يحييكم ثم يحييكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون »^(٢) .

وقد جمع القرآن في آية واحدة مناهج الاستدلال كائناً حول هذه القضية الكبرى فقال :

« ألم خلقوا من غير شئ ؟
ألم هم الخالقون ؟
ألم خلقوا السموات والأرض ؟
بل لا يوفون »^(٣) .

فليس يعقل أن يوجد الإنسان بلا خالق ، فظاهر الإبداع فيه متاهية المدققة ، تنطق بقوة الحجية بأن الإنسان مخلوق .

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٦٢

(٢) سورة المخلدية — الآية ٢٤ : ٢٦

(٣) سورة الطور — الآية ٣٥ : ٣٦

وحيث إن الإنسان مخلوق فليس يعقل أن يوجد مصادفة أو أن يخلق نفسه ، فكلا الاحتمالين مرفوضاً عقلاً ، فالمصادفة لا تخلق نظاماً وإبداعاً ، ولا يتقدم الإنسان نفسه وإنما كان موجوداً معدوماً في لحظة واحدة وهذا تناقض مستحيل .

فإذا انتقلنا إلى ما حول الإنسان من سماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، وكائنات لا تُحصى ولا تُعد ، سبقت وجود الإنسان ، وتبقى بعده زواله ، ولا يستطيع تعديل نواميسها بل لا يستطيع الإطاحة بها .. فالنتيجة المترتبة هي أن الله موجود ، وخالق الكون والكائنات ، ومدبر الأمر كلّه ، وله السلطان المطلق .

إن المجال العقلاني في النظر إلى السكون سماته وأرضه ، حيوانه وطيره ، بره وبعره — كفيل بقيادة البشر « حتى يتبين لهم أنه الحق » ، وجدير باظهار حقيقة الحقائق :

« ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير »^(١) .

وحيثما سُئل رائد الفضاء السوفيتي (جاجارين) عما شاهده في رحلته الأولى حول الأرض قال :

لقد شاهدت الأجرام السماوية والكواكب تدور في نظام دقيق كأن قوة عليا تمثل بها وتهيمن عليها » .

ذلك هو الشعور الفطري الذي عبر عنه القرآن المجيد بقوله :

« إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولاً، ولن ذاتاً إن أمسكها من أحد من بعده ، إنه كان حلباً غفوراً »^(٢) .

(١) سورة الحج الآية ٤١

(٢) سورة فاطر الآية ٦٦

وما كاد (جاجارين) يصرح بذلك حتى استدعاه (خروشوف)
رئيس الوزراء السوفيتي، وذكره بشيوعيته فكيف ينطق بما يفهم منه
الإيمان باقه؟ :

فلم يلبث أن أعلن أنه بحث عن الله في كل مكان في السماء فلم يجدوه !!
وقد زار القاهرة خلال شهر يناير سنة ١٩٧٥ رائد القضاء الامريكي
(جيمس أروين) قائد رحلة أبوallo ١٥ التي استغرقت ثلاثة عشر يوماً
من ٢٦ يوليو إلى ٧ أغسطس سنة ١٩٧١ ، وقضى منها حوالي عشرين
ساعة على سطح القمر في سيارة خاصة .

وفي حوار صحفي معه نشر في صحيفة أخبار اليوم (١١/١١/١٩٧٥) .

قال :

لقد أدى نزولي على سطح القمر إلى زيادة إيماني باقه ، وزادت
العقيدة الدينية عميقاً في نفسي ...

فقيل له :

ولكن جاجارين قال إنه بحث عن الله في السماء فلم يجدوه !!

فقال أروين :

أنا لا أعرف إذا كان جاجارين قد صرخ بذلك أم لا ، ولكنني
أحب أن أوضح أن الإنسان لا يمكن أن يرى الله بعينيه كما يرى سائر
الكتائن ، وأنا أيضاً لم أر الله في رحاتي من الأرض إلى القمر .. ولكنني
شعرت به وأزدادت إيماني بوجوده ، وبقدرته ، وبقوته ..

فهذه الكواكب والنجوم التي تسing في الفضاء اللامائي بنظام رائع ،
وبديع ، ومحكم ، لا يمكن أن تكون قد وجدت تلقائياً أو يمحض الصدفة

ولكن لابد من وجود قوة خارقة لا يليغ مداها عقل الإنسان هي .
التي تمولى تنظيم حركة الكون وحركة الكواكب والنجوم في الفضاء .
وهذه هي القدرة الإلهية ١١

حديث الفطرة :

لقد أمرنا الله تعالى أن نحافظ على فطرة التوحيد ، والاعتصام
بشريعة الحق ، ونخلع ريبة الجاهلية التي تعمل على تغيير معالم الفطرة ، فقال .
جل شأنه :

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّدِينِ حَنِيفًا فَطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمَ» .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة ،
ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكأنوا شيئاً ، كل حرب
بما لديهم فرحون » ١٢ .

وفي الحديث القدسى يقول الله تعالى :

«إِنِّي خَلَقْتُ عَادِي حَنَفاءَ، بَخَامِتِهِمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالُهُمْ عَنِ دِينِهِمْ
وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلتُ لَهُمْ» .

ونحن نؤمن بالفطرة على المستوى الجماعي وعلى المستوى الفردي .
فالفطرة على المستوى الجماعي تعنى أن البشرية جماعة بدأت عقيدتها
بتوحيد الخالص الله تعالى انطلاقاً من أولية آدم عليه السلام وهبوطه
إلى الأرض ظاهراً بمحنة .

وفطرة على المستوى الفردي تعنى قبول الإنسان للحق وإيمانه به .

(١) سورة الروم الآية ٣٠ : ٣١

ويقينه بأن للكون خالقاً مبدعاً حكيم لا شريك له، طالما كان الفرد سليماً من آفات التقليد والموى والعادة الجاهالية ..

وفي ذلك يقول الرسول ﷺ - كما في الصحيح - :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة يومية جماء ، هل تحسنون فيها من جدائ؟ ».
وفي رواية : كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها من جدائ؟ »^(١) .

وإذا استطلعنا آراء العلماء في شرح هذا الحديث الشريف نجد الإمام ابن حجر العسقلاني يقول :

وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام ، قال ابن عبد البر : وهو المعروف عند عامة السلف ، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى « فطر الله التي فطر الناس عليها » الإسلام ..

ثم نقل ابن حجر أن المراد بالفطرة يمكن الناس من المدى في أصل الجبلة والتبرؤ لقبول الدين ، فلو ترك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها ، لأن حسن الدين ثابت في النفوس ، وإنما يعدل عنه لآفة من الآفات البشرية كالتقليد ..

وإلى هذا مال القرطبي في المفهم فقال :

المعنى أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق ، كما خلق أعينهم

(١) تنتج - بضم أوله وسكون النون وفتح التاء بعدها جيم - على مالم يسم فاعله (مبني للسجحول) والجملاء المقطوعة الأذن ، والمراد أن البهيمة تولد سليمة ثم يجددها الناس بذلك .

وأسماعهم قابلة للتربيات والسموعات، فادامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الأهمية أدركت الحق، ودين الإسلام هو الدين الحق ..

وقد دل على هذا المعنى بقية الحديث حيث قال عليه الصلاة والسلام : « كذا ملتح البهيمة »، يعني أن البهيمة تلد الولد كامل الخلقة، فلو ترك كذلك كان بريئا من العيب لكنهم تصرفوا فيه بقطع أذنه ، مثلاً شرخ عن الأصل ، وهو تشبيه واضح ووجه واضح .

ثم نقل ابن حجر توضيحاً لمعنى الحديث عن ابن القيم فقال :

ليس المراد بقوله « يولد على الفطرة » ، أنه خرج من يطعن أمره يعلم الدين ، لأن الله تعالى يقول « والله أخر جكم من بطون أمها تكم لا تعلمن شيئاً »^(١) .

ولكن المراد أن فطرته مقتضية لمعرفة دين الإسلام ومحبته ، نفس الفطرة تستلزم الإقرار والحبة .

وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك لأنه لا يتغير بهويد الآباء مثلما يحيط بغيرها بالفطرة عن القبول .

ولأنما المراد أن كل مولود يولد على إقراره بالربوبية ، ولو خلى وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره .

كما أنه يولد على محضة ما يلام بهذه من ارتفاع اللعن حتى يصرفه عنه الصارف ، ومن ثم شبهت الفطرة باللعن بل كانت إياه في تأويل الرؤيا ..^(٢) .

(١) سورة النحل - الآية ٧٨

(٢) فتح الباري - شرح صحيح البخاري ٣٤٩ ص

ومن هذا يتبيّن أن ما يجري على الفرد هو ما يجري على النوع، ففطرة الفرد تنادى بالتوحيد .

والإنسان في حال الضيق والاضطرار واليأس يجد نفسه مدفوعاً دفعاً قوياً إلى اللجوء إلى الله وحده واستمداد العون منه، ومناجاته رجاءً كشف الضر وإزالة الغمة والإتقاذ من المحنّة كما قال تعالى: « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر مدحونه تضرعاً وخفية لأنّ آنجانا من هذه لن تكون من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنت تشركون »^(١) .

ولأن الإنسانية في بهذه أمورها لم تنهض في غيبة الوحي الإلهي ولا بعيداً عن منهج الرسل .

دُعْوَةُ الْأَنْذِيَاءِ

بعث الله الأنبياء لينصروا لواء التوحيد، ويلشروا لواء الوحدانية،
وتحققوا العلاقة الصحيحة بين الخالق والخالق..

قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلاله فسروا في الأرض ، فانظروا وَاكْفُ كَانَ عَاقِةَ الْمَكْذُونِ »^(١) .

وكانَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ هِيَ كَلِمَةُ الْوَحْيِ الْأَوَّلِ الَّتِي جَاهَدَ عَلَيْهَا جَمِيعُ الْإِنْسَانِ .. قَالَ جِيلُ شَانَهُ :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا^(۲) فَاعْصِدُونَ.

ولهذا التقى رسول الله وأئمباوه على نداء واحد، توجها به إلى أقوامهم وهو: «اعبدوا الله مالكم من إله غيره».

قاله نوح عليه السلام :

لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، إني أخاف عذاب يوم عظيم،^(٢)

وقاله هود عليه السلام :

«وَإِلَىٰ عَادَ أَنْخَاهُ هُودًا ، قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا إِلَهَ مَالِكِكُمْ مِّنْ غَيْرِهِ
أَفَلَا تَقْتُونَ»^(١) .

(١) سورة النحل - الآية ٣٦

(٢) سورة الانبياء - الآية

(٤٣) سورة الأعراف (٥٩، ٦٥)

وقاله صالح عليه السلام :

« ولئن ثمود أخاهم صالحًا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، قد جاءكم بینة من ربكم .. »^(١).

وقاله إبراهيم عليه السلام :

« وإن إبراهيم لاذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »^(٢).

وقاله شعيب عليه السلام :

« ولئن مدين أخاهم شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءكم بینة من ربكم »^(٣).

وقاله المسيح عليه السلام في الدنيا :

« وقال المسيح يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وما أواه النار ، وما للظالمين من أنصار »^(٤).

وسيقوله المسيح مرة أخرى أمام الأشهاد في القيمة :

« ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربى وربكم »^(٥) .

وهكذا كل نبى ..

(١) سورة الأعراف ٧٣

(٢) سورة العنكبوت – الآية ١٦

(٣) سورة الأعراف – الآية ٨٥

(٤) سورة المائدة – الآية ٧٢

(٥) سورة المائدة – ١١٧

وقد نَذَرَ الأنبياء لِأَقْوَامِهِم مُنَاهِجَ الْأَدَلَةِ وَقُواطِعَ الْبَرَاهِينِ، وَجَادُوهُمْ
بِالْتِي هُوَ أَحْسَنُ، وَأَلَّوْمُوهُمُ الْحِجَةَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ..

لَقَدْ سَاقَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ آيَاتِ الْأَنْفُسِ وَالْآفَاقِ، وَلَفِتَ
عَوْلَمَهُ إِلَى إِتقَانِ الصُّنْعِ وَإِبْدَاعِ الْخَلْقِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَذَكَرَهُمْ
بِنَعْمَ اللَّهِ الَّتِي تَبَوَّلُ عَلَيْهِمْ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ، لَا يَمْلِكُونَ فِيهَا مِنْ قَطْمَيرٍ،
وَلَيْسَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ، وَلَا قَدْرَةَ لِبَشَرٍ عَلَيْهَا ..

قَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقْتُكُمْ أَطْوَارًا !

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا،
وَجَعَلَ الشَّمْسَ سَوَاجًا !

وَأَلَهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يَعِدُكُمْ فِيهَا وَيَخْرُجُكُمْ إِلَيْرَاجًا ..

وَأَلَهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلَكُوا مِنْهَا سَبِيلًا بَخَاجًا،^(١) ..

• • •

وَشَارَكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مُجَادِلَاتِ شَتَّى وَمُعَاوِراتِ عَدَةٍ، مِنْ
الْمَلَكَ الطَّاغِيَةِ، وَمَعَ أَيِّهِ، وَمَعَ عَبْدَةَ الْأَصْنَامِ، وَمَعَ عَبْدَةَ السَّكُوَاكِبِ ..

وَحدَدَ لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهَا جَانِبَ الْإِسْتِدَالَلِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ طَرِيقَةً فِي الْبَحْثِ،
كَيْ يَصِلَّ بِهِمْ إِلَى فَطْرَةِ الْحَقِّ وَنَقَاهَةِ التَّوْحِيدِ ..

وَنَقَرَأَ عَلَى سَبِيلِ المِثالِ :

«وَكَذَلِكَ نَرَى إِبْرَاهِيمَ مُلْكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْسَ كُونَ مِنْ

الموقعين ، فلما جن عليه الليل وأى كوكبا ، قال هذا زب ، فلما أفل قال .
لأحب الآفلين .

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى .
لا كون من القوم الصالين .

فلما رأى الشمس بازحة قال هذا ربى ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم .
إنى بربى مما تشركون ..

إنى ووجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا
من الشركين ، (١) .

لقد اصطفى الله إبراهيم وعلمه ، وآتاه الحجة ، وزاده حكمة وعمق .
بيان ويفتن استدلال ..

واتوجه إبراهيم إلى الصابئة الذين يعبدون السكواكب من دون الله .
وتنزله إليهم وشرح لهم أحوالها التي تتنافى مع الألوهية وتناهى بها عن .
الربوبية ..

وانتهى بهم إلى ضرورة اليقين بحقيقة الحقائق والتسليم لله فاطر الكون .
ومبدع الكائنات ، ومانع الأسباب والمبنيات ، والمهيمن على كل شيء ..

تُوحِيدُ الْقُرْآنَ

إن الجانب الإلهي في الإسلام تحدده كليات قصار ، هي فة الإعجاز وقوة التصوير ، في قوله تعالى :

« قل هو الله أحد »

« الله الصمد »

« لم يلد ولم يولد »
« ولم يكن له كفواً أحد » .

وقد جاء في أسباب النزول أن المشركيين قالوا للرسول الله ﷺ :
أنسب لنا بركك ، فأنزل الله تعالى هذه السورة .

وثبت في صحيح الحديث أنها تعدل ثلث القرآن ، ففي صحيح البخاري أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ « قل هو الله أحد » يرددما ، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فздكر ذلك له وكأن الرجل يتلقاها ^(١) فقال النبي ﷺ : والتفى نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن .

وفي رواية أخرى : قال رسول الله ﷺ لصحابه : أيعجبونكم أن يقرأوا ثلث القرآن في ليلة ؟ فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يارسول الله ؟ فقال : « قل هو الله أحد » ثلث القرآن .

وفي توجيهه أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن أقوال العلماء منها :

١ - هي ثلث القرآن باعتبار المعانى القرآنية ، فالقرآن أحكام

(١) يرددما قليلة .

وأخبار وتوحيد، وقد اشتملت هذه السورة على القسم الثالث وهو التوحيد.

٢ - إن معرفة الله تعالى قائمة على معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الأفعال، وهذه السورة يثبتت معرفة الذات المقدسة بجلالها وكالماء، فالآحادية تشعر بوجود خاص لا يشاركه فيه غيره، والصمدية تشعر بجميع خصال السكال لأنها الذي انتهى إليه السؤدد فكان الملاجأ والمنجي منه وإليه.

٣ - إن ثواب قراءة سورة الإخلاص يعدل ثواب من قرأ ثلث القرآن.

٤ - أدعى بعضهم أن قوله : « تعدل ثلث القرآن » يختص بصاحب الواقعة لأنها لما رددتها في ليلته كان كمن قرأ ثلث القرآن بغير ترديد، ولعل الرجل الذي جرى له ذلك لم يكن يحفظ غيرها فلذلك استقل عمله، فقال له الشارع ذلك ترغيباً له في عمل الخير وإن قل ^(١).

ولهذه السورة خاصة أخرى جليلة، فمن قرأها وداوم عليها وتعلق بها وعقل معناها وعمل بمقتضها قاده ذلك إلى الجنة وحظى بالرضوان الأكبر، وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لای شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه.

(١) راجع هذه الآراء في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٩

وفي موقف آخر كان رجلاً من الأنصار يومهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة ما يقرأ به افتتح بقبله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه فقالوا: إنك تفتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجوز تلك حتى تقرأ بالآخرى، فيما أن تقرأ بها وإنما أن تقرأ بالآخرى.

فقال: ما أنا بتداركها، إن أحبيتم أن أؤمكم بذلك فعملت، وإن كررت ترکكم، وكانتا يرون أنه من أفضليهم وكرهوا أن يومهم غيره، فلما أتتهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال: يافلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما حملتك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟

قال: إني أحبهما، قال عليه الصلاة والسلام: «حبك إياها أدخلك الجنة».

وألفاظ السورة الكريمة تحدد الجانب الإلهي تحديداً واضحأً، فإنه أحد، ولفظ الأحد في الإثبات لا يطلق إلا على الله هو وجل لأنه الكامل في جميع صفاتة وأفعاله.

وقد ذكر الإمام الرازي بحثاً فيها حول التعبير الشريف «الله أحد»، فقال: إن صفات الله تعالى إما أن تكون إضافية وإنما أن تكون سلبية، أما الإضافية: فكقولنا عالم، قادر، مريد، خالق، وأما السلبية فكقولنا: ليس بجسم ولا بجوهر ولا بعرض.

والخلوقات تدل أولاً على النوع الأول من الصفات، وثانياً على النوع الثاني منها، وقولنا «الله» يدل على مجامع الصفات الإضافية، وقولنا «أحد» يدل على مجامع الصفات السلبية، فكان قوله «الله أحد» تماماً في إفاده العرقان الذي يليق بالعقل البشري.

ولإنما قلنا إن لفظ «أقه» يدل على مجامع الصفات الإضافية، وذلك لأن الله هو الذي يستحق العبادة، واستحقاق العبادة ليس إلا من يكون مستبداً بالإيجاد والإبداع، والاستبداد بالإيجاد لا يحصل إلا أن كان موصوفاً بالقدرة التامة والإرادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات، من الكليات والجويئيات وهذه مجامع الصفات الإضافية.

وأما مجامع الصفات السلبية في الأحادية وذلك لأن المراد من الأحادية كون تلك الحقيقة في نفسها مفردة، منزهة عن أحجام التركيب وذلك لأن كل ماهية مركبة في مقتدرة إلى كل واحد من أجزائه، وكل واحد من أجزائه غيره. فكل مركب فهو مقتدر إلى غيره، وكل مقتدر إلى غيره فهو يمكن لذاته، فكل مركب فهو يمكن لذاته.

فالإله الذي هو مبدأ جميع الكائنات يمتنع أن يكون مسكنًا، فهو في نفسه فردٌ واحدٌ، وإذا ثبتت الأحادية وجب أن لا يكون متخيلاً فإن يمينه مغایر ليساره وكل ما كان كذلك فهو منقسم، فالأخذ يستحيل أن يكون متخيلاً.

وإذا لم يكن متخيلاً لم يكن في شيء من الأحيان وال الجهات، ويجب أن لا يكون حالاً في شيء، لأنَّه مع حمله لا يكون أحداً، ولا يكون مخلاً في شيء لأنَّه مع حاله لا يكون أحداً.

وإذا لم يكن حالاً ولا مخلاً لم يكن متغيراً أبداً لأنَّ التغيير لابد وأن يكون من صفة إلى صفة.

وأيضاً إذا كان أحداً وجب أن يكون واحداً، إذ لو فرض وجودان واجباً الوجود لاشتركا في الوجوب ولتمايزاً في التعيين،

وما به المشاركة غير ما به المعايزة ، فكل واحد منها مركب ، ثبت أن كونه أحداً يستلزم كونه واحداً^(١).

وقوله تعالى : « الله الصمد » يراد به المقصود في الحوائج، المستعين عن العالمين ، وهو يلتقي في المعنى مع الآية الكريمة : « يا أيها الناس أتم الفقراة إلى الله، والله هو الغني الحميد »^(٢).

وهذا المعنى يوضحه الحديث الشريف القدسى : « يا عبادى إن حرمت الظلم على نفسى وجعلته ينكم حرمآ فلا تظالموا .

يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوفن أهلكم .

يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمنه فاستطعموني أطعمكم .

يا عبادى كلكم عار إلا منكسوة فاستكسوني أكسكم .

يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر للذنب جهراً فاستغفروني أغفر لكم .

يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى وإن تبلغوا نفعى فتفنونى ..

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنكم وجنكم كانوا على أتقى قلب بوجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملوكى شيئاً .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنكم وجنكم كانوا على أبغى قلب بوجل واحد ما نقص ذلك من ملوكى شيئاً ..

(١) التفسير الكبير للإمام الرازى ج ٣٢ ص ١٨٠ ط دار الفكتور

(٢) سورة قاطر الآية ١٦ .

يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنتم وجنكم قاموا في صعيد واحد
فـسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك ما عندي إلا كا ينقص
الخيط إذا أدخل البحر ..

يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيك لياها فن وجد خيراً
فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، رواه مسلم .

وقوله تعالى : « لم يلد ولم يولد » إشارة إلى أنه تعالى أول بلا ابتداء
وآخر بلا انتهاء فهو سبحانه الأول الأبدى ، وقد ادعى المشركون أن
الملاائكة بنات الله ، وادعى اليهود أن عزيرًا ابن الله ، وادعى النصارى
أن المسيح ابن الله « كبرت كلية تخرج من آفة افهم إن يقولون إلا كذباً ،
فالآية السكرية ترقى الولدية والمولودية وتفكك الأحاديث الصمدية .

وقوله تعالى : « ولم يكن له كفواً أحد » تثبيت لعقيدة مفارقة الله
لسائر الكائنات وعلوه عليها ، وأن كل ما طرأ بيالله فإنه بخلاف ذلك ..

وبهذه السورة السكرية وبهذا الوضوح الجلى في العقيدة الإسلامية
تهاوى كافة العقائد الوثنية وأباطيل أهل الكتاب وأوهام الفلسفه ..

الدين الخالص

إن عالم اليوم الذي تصارعت فيه القوى والمذاهب ووصل إلى درجة التشبع المادى والرخيص .. أصبح يتلهف على عقيدة توأز العقل الراسد ، وتهب السعادة للنفس الإنسانية وتنسامي بعواطف الإنسان وغرازه إلى آفاق الملاك الأعلى .

ولن تكون تلك العقيدة إلا عقيدة الإسلام الذي ختم الله به الرسالات فهو الدين القائم ، وهو أمل الإنسانية المرتقى في اليوم ، وفي الغد بعده ، إلى أن يirth الله الأرض ومن عليها .

المراد بالدين الخالص :

فالعقيدة الإسلامية هي الدين الخالص الذي لا يعرف معبوداً غير الله الواحد الأحد ، له وحده العبادة ، وبه وحده الاستعانة ، وعليه وحده التوكل ، وإليه وحده المناجاة والتضرع .

قال الله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خلقهم ويفقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة »^(١) .

والعقيدة الإسلامية لا تعرف تشبيهاً أو تجسيماً للألوهية بل كل ما طرأ أياً الله فإنه مختلف ذلك .. قال سبحانه : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »^(٢) .

والعقيدة الإسلامية لا تعرف حولاً أو اتحاداً ، فالكون والمكائن جميعاً مربوبة لله سبحانه ، وواقعة تحت قهره وسلطانه وهيمنته ..

(١) سورة البينة آية ٥ .

(٢) سورة الشورى آية ١١ .

قال جل شأنه : « وَمَن يَسْجُدْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا .
وَظَلَّمُهُمْ بِالنَّدْوِ وَالْأَصْالِ »^(١) .

وقال سبحانه وتعالى :

« لَن يَسْتَكْفِي الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لَهُ ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرَبُونَ ،
وَمَن يَسْتَكْفِي عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرُ فَسِيرْحَرُهُ إِلَيْهِ جَهِيْمًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفَّىٰهُمْ أَجُوْدُهُمْ وَبِزِيْدِهِمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ
اسْتَكْفَفُوا وَاسْتَكَبَرُوا فَيُعَذَّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا »^(٢) .

والعقيدة الإسلامية لا تعرف وساطة أو كهانة، وقد نص القرآن على
قوم بدلو اعقيدة التوحيد كفراً فقال :

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرَهْبَانِهِمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَالْمَسِيحَ ابْنَ سَمْرَمْ ،
وَمَا أَمْرَوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سَبَّحَهُمْ عَمَّا
يَشْرَكُونَ »^(٣) .

وفي حديث رواه أحمد والترمذى وابن جرير أن عدى بن حاتم الطائى
- وكان قد تصر فى الجاهلية - دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه
الآلية فقال عدى : إنهم لم يعبدوهم .

فقال الرسول ﷺ : يلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم المحرام
فأنبئوهم بذلك عبادتهم ليأتموا .

(١) سورة الرعد الآية ١٥ .

(٢) سورة النساء - الآية ١٧٧: ١٧٣ .

(٣) سورة التوبه - الآية ٣١ .

مفهوم العبادة :

إن المسلم يقرأ كل يوم سورة الفاتحة سبع عشرة مرّة على الأقل وفيها قوله تعالى : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ » ، وفي تقديم الصميم « إِيَّاكَ » على الفعلين ما يدل على الاختصاص .

فالعبادة هي منتهى الخضوع والتللل ..

والاستغاثة هي طلب العون من يقدر ويعمل ..

فأله وحده مالكه الملائكة والملائكة ، ذو القوة والجبروت ..

فعليه وحده التوكل وإليه وحده إسناد عظامهم الأمور ودقائقها ، قال

تعالى :

« وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ »^(١)

« وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ »^(٢)

« وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُفِّ بِاَنْهُ وَكِيلًا »^(٣)

وإِلَّا أَنْهُ وحده المناجاة والتضرع ، فـ يكشف الضر ، ويحيي المصطـ

ـ ويرزق من يشاء بغير حساب .. قال تعالى :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عَبْدٌ عَنِ فِي قَرِيبٍ ، أَجِيبْ دُعَوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ..

فَلَيَسْ تَجْيِيْوًا لِي وَلِيَوْمَنَا بِي لَعْلَمْ يَرْشَدُونَ »^(٤) .

(١) سورة الشوراء الآية ٢١٧

(٢) سورة الفرقان الآية ٥٨

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣

(٤) سورة البقرة الآية ١٨٦

وَلَهُ وَحْدَهُ الْحُبُّ كَاهُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهِ وَأَجْلِ مَقَامَاتِهِ وَأَعْظَمِ درجاتهِ ،
قَالَ تَعَالَى : « وَالَّذِينَ آتَنَا أَشَدَّ حِبَّةً »^(١) .

وَمِنْ أَنَّهُ وَحْدَهُ الْخَشْيَةُ وَالرُّهْبَةُ . . . قَالَ تَعَالَى : « الَّذِينَ
يَلْغَوْنَ وَسَلَاتَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا أَنَّهُ ، وَكَفَى
بِالْهُدَى حَسِيبًا »^(٢) .

المعانى البشرية:

إن الحب والخشية والدعا، والاستعاة عندما توجه بها إلى الله تعالى
 فهي اليقين الكامل بأن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ، ذو الجلال
 والإكرام ..

ولا حرج شرعاً في استخدام هذه الألفاظ في المجال البشري ،
 فنحن نحب أهلينا وأموالنا ، ونخاف أعداءنا ، وندعو الكبار فينا ،
 ونستعين بالآقوية ، ونطلب النجدة من يستطيع نصرتنا ..

لكن هذا الاستخدام البشري إنما هو في إطار الضعف الإنساني
 والقدرة البشرية المنوحة من الخالق المبدع الحكيم ، ومن باب التباون
 على البر والتقوى ..

ولسنا ندعى لأحد من البشر هيمنة على الكون أو سلطاناً على الكائنات ،
 أو حلاً على الخلق ، أو تدبراً للملائكة ..

فالمقصى عنه شرعاً هو حب الناس كحب الله ، أو خشية الناس كخشية

(١) سورة البقرة الآية ١٦٥

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢٩

اـهـ ، أو دعـاءـ النـاسـ كـدـعـاءـ اـهـ .. وـهـذـاـ مـاـ أـكـفـهـ النـصـوصـ
الـسـرـعـيـةـ .. قـالـ تـعـالـىـ «ـ وـمـنـ النـاسـ مـنـ يـتـخـذـ مـنـ دـوـنـ اـهـ آـنـدـادـاـ يـجـبـونـهـ
كـحـبـ اـهـ »^(١) ..

وـقـالـ جـلـ شـانـهـ :ـ فـلـمـاـ كـتـبـ عـلـيـمـ الـقـتـالـ إـذـاـ فـرـيقـ مـنـهـ يـخـشـونـ
الـنـاسـ كـخـشـيـةـ اـهـ أوـ أـشـدـ خـشـيـةـ »^(٢) ..

فـلـكـلـ دـوـرـتـهـ وـلـكـلـ حـدـودـهـ ..
وـمـاـ كـانـ اـهـ فـهـوـ أـعـوـ وـأـكـرـمـ وـأـجـلـ ..

نـمـاذـجـ شـرـكـيـةـ :

وـانـطـلاـقاـ مـنـ هـذـهـ خـاصـةـ الـعـقـدـيـةـ نـهـيـ الـإـسـلـامـ أـشـدـ النـبـيـ عـنـ أـمـورـ
تـنـافـيـ مـعـ الدـيـنـ الـخـالـصـ ،ـ وـتـشـوـبـ الـعـقـيـدـةـ الصـحـيـحةـ وـقـدـ تـصـلـ بـهـ إـلـىـ
الـشـرـكـ الـخـالـصـ ..ـ قـهـيـ الـإـسـلـامـ عـنـ اـتـخـاذـ الـقـبـورـ مـسـاجـدـ ،ـ فـقـيـ الصـحـيـحـ
عـنـ عـائـشـةـ رـضـيـ اـهـ عـنـهـ أـنـ أـمـ سـلـمـةـ رـضـيـ اـهـ عـنـهـ ذـكـرـتـ لـوـسـوـلـ اـهـ
كـتـبـةـ وـأـتـهاـ بـأـرـضـ الـحـبـشـةـ وـمـاـ فـيـهـ مـنـ الصـورـ فـقـالـ :ـ أـولـثـكـ إـذـاـ
مـاتـ فـيـهـمـ الـرـجـلـ الصـالـحـ أـوـ الـعـبـدـ الصـالـحـ بـنـوـاـ عـلـىـ قـبـرـهـ مـسـجـداـ ،ـ وـصـورـواـ
فـيـهـ تـلـكـ الصـورـ ،ـ أـولـثـكـ شـرـارـ الـخـلـقـ عـنـ اـهـ ..ـ .ـ

وـحـرـمـ الـإـسـلـامـ أـكـلـ مـاـ ذـبـحـ لـغـيرـ اـهـ ،ـ فـقـالـ تـعـالـىـ «ـ وـلـاـ تـأـكـلـواـ
عـالـمـ يـذـكـرـ اـسـمـ اـهـ عـلـيـهـ إـنـهـ لـفـسـقـ »^(٣) ..

وـحـذـرـ الـإـسـلـامـ مـنـ الـاعـتـمـادـ الـخـاطـئـ فـيـ السـعـرـ وـالـكـهـانـةـ وـالـتـنـجـيمـ

(١) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ الآـيـةـ ١٦٥ـ

(٢) سـوـرـةـ الـلـهـاءـ الآـيـةـ ٧٧ـ

(٣) سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ الآـيـةـ ١٢١ـ

والتلبيس، ففي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقدف المحسنات الغافلات المؤمنات».

وفي الصحيح أيضاً:

«من أتى عرفاً فسألَه عن شيء لم تقبل له صلاة أو بعنه ليلة».

آفاق عقيدة التوحيد

١ - أفق الاسم :

• « لا إله إلا الله » هي كلمة التوحيد الخالص لله تعالى ، فلا معبود بحق سوى الله ، فهو سبحانه المستحق وحده للعبادة ، وهو وحده المستغى عما سواه ، والجحيم في حاجة إلى الله خلقاً ومدداً وهداية ..

قال الله تعالى : « يا أيها الناس أتكم الفقراء إلى الله وآله هو الغنى الحميد »^(١) .

• « لا إله إلا الله » هي كلمة الإخلاص ، لأن تعدد الشركاء والآلهة المزعومة يورث شتات الفكر وضياع الوعي ونفاق الكلمة والسلوك قال الله تعالى : « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاركون ورجالاً سلباً لرجل هل يستويان مثلاً ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلوون »^(٢) .

• « لا إله إلا الله » هي كلمة التقوى ، فلا وقاية من عذاب الله وسخطه إلا بالتوحيد ، ولا وقاية من الانحراف والخطيئة إلا بالتوحيد.

فنُأيقن بأن الله واحد لا شريك له ، أسلم وانقاد له فالالتزام الامر واجتنب النهي وحافظ على الشريعة ..

وقد جعلها الله وساماً رفيعاً لاصحاب بيعة الرضوان فقال : « فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلية التقوى ، وكانوا أحق

(١) سورة فاطر الآية ١٥

(٢) سورة الزمر الآية ٢٩

بها وأهلهما، وكان الله بكل شيء علیها^(١).

• لا إله إلا الله، هي دعوة الحق، فعندما يؤمن الإنسان بحقيقة التوحيد إيماناً راسخاً يسره أن يدعو الناس إليها ويعறهم بها ويأخذ بأيديهم إلى رحابها، لأن التوحيد هو أصل كل خير وأساس كل سلوك ورشيد، فالمطلق لحياة كريمة طيبة في الدنيا والآخرة هو توحيد الله تعالى، والشهادة له سبحانه بالخلال والشكال، والاستقامة على شرع الله عز وجل ..

قال تعالى: «لا دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله وما دعاه الكافرون إلا في ضلال»^(٢).

• لا إله إلا الله، هي الكلمة الطيبة التي تشر كلها طيبات تضيّع جوانب الحياة بأسرها، فما من كلمة خير وبه ومحب ومحظى إلا ومنطلقاً لها كلامة التوحيد، وفي خيبة هذه الكلمة الطيبة تتواли الشرور وتتوارد المفاسد ويُضيّع الأمل وتُنبع الحياة جرداً فاحشاً ..

قاله تعالى: «ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تقوى أكلها كل حين ياذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون»، ومثل كلمة خيبة كشجرة خيبة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار»^(٣).

• لا إله إلا الله، هي العروة الوثقى، فتتحقق حقيقة المسلم التوحيد في

(١) سورة الفتح الآية ١٨

(٢) سورة الرعد الآية ١٤

(٣) سورة إبراهيم الآية ٢٤: ٢٦

العقيدة، وأندر في قلبه الإخلاص النقى، ودفعه إلى التقوى ، وعاش بالكلمة الطيبة من أجل دعوة الحق — فقد استمسك بالعروة الوثقى وتمكن من ناصية السعادة والفوز المبين ..

قال الله تعالى «ومن يسلِّمُ وجهه إلى أقْرَبِهِ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعِروَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَافِيَةُ الْأَمْرِ»^(١) ..

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ مَفْتَاحُ الْجَنَّةِ ..

قال تعالى : «إِنَّمَا مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حُرِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَا أَوَاهَ النَّاسُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ»^(٢) ..

فليئن هناك أظلم من أغلق عليه دون النور ، وطمئن بصيرته دون الوحي الالهي ، وتمرد على الشرع الشريف ..

٢ - أفق العلم :

إن حقيقة التوحيد تلشاً عن العلم بأيات الأنفس والأفاق ، والتعرف على ملائكة السموات والأرض ، والتأمل في صنع الله الذي أتقن كل شيء ..

ولهذا قال الله تعالى : «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣) ..

فلا يعُذر مصاحب العقل ، ولا دين له ، ولا عقل له ، لا دين له ..

وقد حرص القرآن المجيد على تأكيد أهمية العلم ودوره في بناء العقيدة

(١) سورة لقمان الآية ٤٤

(٢) سورة المسâدâة الآية ٧٢

(٣) سورة محمد الآية ١٩

الصحيحة، وكان الشعار المرفوع دائمًا في مواقف الجدال مع خصوم المغيرة هو قوله تعالى : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »^(١) .

« قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا »^(٢) .

وكان القرآن كتاب الكون المقصود. وكان الكون قرآن الله المنظور، ولنقول : « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيفيرون الله ، قل أفلأ تذكرون ؟^(٣) »

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟
سيقولون الله قل أفلأ تنتقدون ؟

قل من بيده ملائكة كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟

سيقولون الله ، قل فاني تسخرون ؟
بل أقيناهم بالحق وإنهم لكاذبون

ما أخذنا الله من ولد وما كان معه من الله ، إذن لذهب كل إله بما شاء
ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ،^(٤)

إن عقيدة التوحيد تدفع المسلم دفعة قوية إلى طلب العلم والبحث في
نوميس السكاتات ، والتعرف على خصائص الأشياء والاتصال بالملائكة
التي منحها الله لنا ..

وقد أعلى الله منزلة العلماء فقرن شهادتهم بشهادته وشهاددة الملائكة

(١) سورة التلal الآية ٦٤

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٨

(٣) سورة المؤمنون الآية ٨٤ : ٩١

فقالَ شهدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَاتِلًا بِالْقُسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(١).

وَخَصَ الْعُلَمَاءَ بِالْخَشْيَةِ فَقَالَ «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(٢) فَعَلَى
قَدْرِ مَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ تَكُونُ خَشْيَتُهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ ..

وَمِنْ هَذَا كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةً وَكَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ مَعَاذًا مِنْ أَنَّهُ ، قَالَ
وَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ سَلَّكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عَلِيًّا سَهَلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا
إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِتَطَالِبَ الْعِلْمَ رَضًا بِمَا يَصْنَعُ ..».

٣ - أفق الوجودان :

خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي كَبِدِهِ ، وَقَدِمَ إِلَى الْحَيَاةِ وَسَطَ مَتَاعِبُ وَمَشَاغِلُ وَهُمُومُ
قَلَازِمِهِ ، فَيَضِيقُ حَدْرُ الْإِنْسَانِ وَيَعْتَرِيْهِ الْقَلْقُ ..

وَالْخَلُولُ هُوَ عَقِيْدَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَهُوَ الْأَمْلُ فِي
هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ الضَّيَاءُ لِمَسِيرَةِ الْإِنْسَانِ ..

إِنَّ الْحَيَاةَ قَائِمَةٌ عَلَى الْمُتَقَابِلَاتِ مِنْ حَمَّةٍ أَوْ مَرْضٍ ، وَمِنْ غَنِّيَّةٍ أَوْ فَقْرٍ ،
وَمِنْ أَوْلَادًا أَوْ عَقْمًا ، وَمِنْ شَبَابًا أَوْ كَهْوَلَةً .. إِلَخُ وَلَيْسَ هُنْكَ مِنْ
نَّاسٍ مَنْ يَحْكُمُ هَذِهِ الْمُتَقَابِلَاتِ وَيَهِبُ النَّاسَ السَّكِينَةَ حَيَاةً إِلَّا إِيمَانُ بِاللَّهِ
ذَلِكَ أَنَّ الْحَيَاةَ فِي مَنْطَقَ الْإِيمَانِ مُبْلِيَّةٌ عَلَى قَانُونِ عَامِهِ الْإِبْلَاءِ وَالْأَمْتَاحِ ..
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «وَنَبِلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً»^(٣) .

وَشَانِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا هَذِهِ النَّعْمَةِ وَالْعَطَاءِ ، صَابِرًا فِي مَوَاطِعِ

(١) سورة آل عمران الآية ١٨

(٢) سورة فاطر الآية ٢٨

(٣) سورة الأنبياء الآية ٣٥

القضاء ، قال تعالى : « وَمَنْ يُؤْمِنْ بِأَنَّهُ يَهْدِ قَلْبَهُ »^(١) .
وبذلك يعيش المؤمن في هدوء وسکينة، مشرح الصدر قرير العين ..

وفي غيبة عقيدة التوحيد يتذكر الإنسان عند النعمة ويطغى بها ويفسد
في الأرض ، وعند المصيبة يجزع ويقطن ويأس وتهار حياته ، ولهذا
قال رسول الله ﷺ ، عجباً لامر المؤمن إن أمره كله خير ، إن أصابته
سراء فشكراً كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبراً كان خيراً ، وليس ذلك
لأحد إلا للمؤمن » .

وفى مواقف كثيرة عندما تنقطع الأسباب ويظلم الطرب ياجأ الإنسان
إلى ربه ورباه كشف الغمة فإذا تداركته وحمة الله ونجا - عاود الإنسان
أنحرافه ونسى نعم الله عليه ..

وفي تصوير هذه الحال الجميلة يقول الله تعالى : « إِذَا مَسَكَ الضرَّ
فِي الْبَرِّ حَتَّىٰ مَنْ تَدْعُوا إِلَّا إِيَاهُ »^(٢) .

أى أنه في حال شدة البر وأشراف المرء على الفرق ينسى جميع
الشركاء ولا يعتقد إلا في قدرة الله جل جلاله ، فيتحقق الله رباه وينفذ
ما فيه من أحوال ، ولكن الإنسان تلهيه النعمة :

« فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْوَضْتُمْ وَكَانَ إِنْسَانٌ كَفُوراً » .

وهل نسى أن الله البر هو إله البر ، وأن صاحب الميمنة المطلقة هو
له وحده ؟ [أَفَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبُ الْبَرِّ أَوْ يَرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
ثُمَّ لَا تَجِدُو لَكُمْ وَكِيلًا] .

(١) سورة التغابن الآية ١١

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٧

ثم أليس من الممكن أن تعود الشدة مرة أخرى ويقف الإنسان نفس الموقف السابق يحيط به الموج من كل مكان؟ [أم أمنتم أن يعیدكم فيه قارة أخرى فيرسل عليکم قاصداً من الرحيم فينرقكم بما كفروتم لاتبادوا السکم علينا به تبعياً] .

إن العاقل يتعرف إلى الله في الرخاء ليعرفه في الشدة ويظل وفيما تهج الله في السراء والضراء ..

٤ - افق الاجتماع :

إن حقيقة التوحيد تعمق في قلب الإنسان لتثير الحياة بأسرها ، ولتقديم للناس كرامات الأخلاق ، ومحامد السير ، وفضائل الأعمال ، وطبيات السلوك ..

ويتحقق ذلك من جوانب عده ..

يتتحقق من خلال المراقبة الذاتية التي تجعل المؤمن يسعى لأن يراه الله حيث أمره ويفقده حيث نهاه ، قال الله تعالى : « ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا فهو ربهم أينما كانوا ثم ينبهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شيء عليم » ^(١) .

ويتحقق من خلال التراحم والتواصل بين الأجيال وفتات المجتمع .. كما قال تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغرانا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم » ^(٢) .

(١) سورة المجادلة الآية ٧

(٢) سورة الحشر الآية ١٠

ويتحقق من خلال الإيثار والتضحية، فيحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه بل قد يقدمه على نفسه .. قال الله تعالى : « وَالَّذِينَ تَبُوا أَوَاكِهِرَةَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجْبُونَ مِنْ هَاجِرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صِدْرِهِمْ حَاجَةً مَا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بَهُمْ خَصَاَصَةٌ ، وَمَنْ يَوْقَنْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »^(١) .

ويتحقق من خلال العمل المخلص الدموي، بحيث يُؤدي المؤمن عمله بياقة .. قال الله تعالى :

« وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرِيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَرِدونَ إِلَى عَالَمِ الْفَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُبَشِّرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »^(٢) .

ويتحقق من خلال الالتزام بمنهج الله الذي يهدى للتي هي أقوم ، فإن الإنسان صنة الله، والله أعلم بما يصلحه ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »^(٣) ..

وما ساد ظلم ولا ضاع حق ولا انتهكت حرمة إلا في غيبة منهج الله، فيحيى يوجد الإيمان توجد الأمانة والأمن .. قال تعالى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنَاءُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ »^(٤) .

(١) سورة الحشر الآية ٩

(٢) سورة التوبه الآية ١٠٥

(٣) سورة الملك الآية ١٤

(٤) سورة الأنعام الآية ٨٢

٦ - أفق الله كُو :

إن عقيدة التوحيد بعمقها التاريخي وأفاقها العلمية والنفسية والاجتماعية
تغلي في الحياة بأجمعها ..

وهذه الأهمية الفصوصى تختتم أن يظل المؤمن مرددا بقلبه ولسانه ، لا
إله إلا الله ، حتى لا يكون من المغافلين ..

إن الحياة حلوة بذكر الله ، سعيدة بمنجاه ، ممتدة باسم الله ، وهذا
المعنى يجعل المؤمن في قمة الوعي والعقل .. قال الله تعالى : « إن في خلق
السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الآلاب ، الذين
يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتذكرون في خلق
السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فتنا عذاب النار ،
ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزتني وما للظالمين من أنصار ، ربنا إننا نسألك
مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنبنا وكفر
عننا سيناتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسولك ولا تخوننا
يوم القيمة إنك لا تختلف في العياد »^(١).

إن هذا الله كُو هو دعوة تأمل في خلق الله ، ودعاء إلى رب الكَرِيم ،
وجهاد من أجل الحق ، ورجاء في محسنات الدنيا ومحاسن الآخرة ، فقد وعد
له رسله والمؤمنين النصر والتKitchen في الدنيا والفردوس الأعلى
في الآخرة .

والمراد بالله كُو قياماً وقعوداً وعلى الجنوب هو الاستمرار والدوام
على كل الأحوال ، وفي كافة المواقف ، وليس المراد افتئال قيام وقعود ..
وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن شرائع

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩٠ : ١٩٤ .

الإسلام كثُرَتْ عَلَى ، فِي بَابِ مِنَ الْخَيْرِ جَامِعٍ ، فَقَالَ : لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطِبًا
بِذِكْرِ أَنَّهُ ..

إِنَّ اللَّهَ كَرِمٌ مُفْتَاحُ الْخَيْرِ لِلْسُّلُوكِ الْإِنْسَانِيِّ ، فَلِمَنْ يَعْقُلُ أَنْ إِنْسَانًا
يَرْدَدُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانَهُ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » وَيَعْقُلُ مَعْنَى كُلَّةِ التَّوْحِيدِ هَذِهِ شَمْهُرُورٌ
يَعْتَابُ أَوْ يَحْقُدُ أَوْ يَقْصُرُ فِي عَمَلٍ ، أَوْ يَفْرَطُ فِي وَاجِبٍ ، أَوْ يَقْفَ مَوْقِفَ
الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ ..

وَفِي ثَوَابِ ذِكْرِ كُلَّةِ التَّوْحِيدِ جَاءَ الْحَدِيثُ الصَّحِيفُ « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
فِي يَوْمٍ مَائَةٍ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلٌ عَشْرُ رِقَابٍ ، وَكَتَبَتْ لَهُ مَائَةٌ حَسَنَةٌ ، وَعِصِيمٌ
عَنْهُ مَائَةٌ مُسْيَنَةٌ وَكَانَتْ لَهُ حَرْفًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي ، وَلَمْ يَأْتِ
أَحَدٌ أَفْضَلُ مَا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ هَمِيلٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ »

إِنَّ إِنْسَانًا يَرْدَدُ فِي الْيَوْمِ كُلَّةَ التَّوْحِيدِ مَائَةَ مَرَّةٍ هُوَ إِنْسَانٌ تَائِبٌ
يَسْتَمْطِرُ رَحْمَةَ أَنَّهُ ، وَيُسْعَى لِأَدَاءِ الْفَرَائِضِ ، وَيَكْفُ عنِ الْمُحَارَمِ ،
وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ أَنَّهُ ..

البحث الخايس

قراءة في كتب العقيدة

- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل
للإمام ابن حورية
- المواقف في علم الكلام
لأحمد الدين الإيجي
- شرح العقيدة الطحاوية
للشيخ ابن أبي العز الدمشقي
- رسالة التوحيد
للإمام محمد عبده

التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل

للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة

المتوفى سنة ٢١١ هـ

- المؤلف وسبب التأليف
- الصفات الخبرية
- كلام الله تعالى
- الرؤية
- الشفاعة
- حكم مرتكب الكبيرة
- ملاحظات

التوحيد وإثبات صفات الرب عزوجل^(١)

المؤلف:

الإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النسابوري . ولد في شهر صفر سنة ٢٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ .

وكان شافعى المذهب ، وله مؤلفات كثيرة ، أهمها كتابه في الحديث المسنى .. صحيح ابن خزيمة .

سبب التأليف :

يقول المؤلف في مقدمته :

تعالى ربنا عن صفات المحمودين ، وتقديس عن شبه المخلوقين ، وتنزه عن مقالة المعطلين ، وعلا ربنا ، فكان فوق سبع سماواته عاليا ، ثم على عرشه أستوى ، يعلم السير وأخفى ، ويسمع الكلام والنحوى .

ثم يقول : أما بعد : فقد أتى علينا برهة من الدهر ، وأنا كاره للاشغال بتصنيف ما يشوبه شيء من جنس الكلام^(٢) من الكتب وكان أكثر شغلي بتصنيف كتب الفقه التي هي خلو من الكلام في الأقدار الماضية التي قد كفر بها كثير من متبعي الإسلام ، وفي صفات الله عزوجل التي قد نفاما ولم يؤمن بها المعطلون ، وغير ذلك من الكتب التي ليست من كتب الفقه ..

(١) الكتاب راجحه وعلق عليه الدكتور محمد خليل هراس ، وطبعه

مكتبة السكليات الأزهرية سنة ١٣٨٧ هـ ١٩٦٨ م

(٢) المراد علم الكلام المدموم على حصر المؤلف .

وكنت أحسب أن ما يجرى من بين المناظرين من أهل الأهواء في جلسات الكلام في مجالسنا، ويظهر لأصحابه الذين يحضورون المجالس والمناظرة من إظهار حقنا على باطل مخالفينا في المناظرة — كاف عن تصنيف الكتب على صحة مذهبنا، وبطلان مذاهب القوم، وغنية من الإكتاب في ذلك ..

فليما حدث في أمرنا ما حدث مما كان الله قد قضاه، وقدر كونه مما لا يحيص لأحد، ولا موتل عما قضى الله كونه في اللوح المحفوظ قد سطره من حتم قضاه، فنعتنا من الظهور ونشر العلم وتعليم مقتبس العلم بعض ما كان الله قد أودعنا من هذه الصناعة.

كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث، من لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلالة من الجهمية المعطلة والقدرية المعتزلة — ما تخوفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب ، من القول بالبهتان والضلالة في هذين الجنسين من العلم ، يثبتات القول بالقضاء السابق والمقادير النافية قبل حدوث كسب العباد ، والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جل وعلا ، بما وصف الله به نفسه في تحكم تنزيله الذي لا يأقه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، وبما صرح وثبت عن نبينا صلوات الله عليه بالأسانيد الثابتة الصحيحة بنقل أهل العدالة موصولاً إليه صلوات الله عليه .. فتعلم الناظر في كتابنا هذا من وفقه الله تعالى لإدراك الحق والصواب ، ومن عليه بال توفيق لما يحب ويرضى — صحة مذهب أهل الآثار في هذين الجنسين ^(١) من العلم ، وبطلان مذاهب أهل الأهواء والبدع الذين هم في رديهم وضلالتهم يعمرون

(١) المراد علم القضاة والقدر وعلم التوحيد والصفات.

فالمؤلف شرخ من صيته وسجل مناظراته وأراءه في كتب كثيرة يرجع
إليها طلاب العلم ولا تذهب سدى مع الأيام ..

وهو يتم بجانبين من العلم هما القضاة والقدر ، والتوحيد والصفات .

وهو يتم غالبيه بالكفر بسبب آرائهم في هذين العلين ..

ويحدد فرقاً بعيتها يعدها من أهل الزيغ والضلال ، هي فرقة الجبنة
وفرقة المعتزلة ..

وهو يصنف نفسه في مذهب أهل الآثار في مقابلة مذهب أهل
الآراء ...

الموضوعات

الصفات المفترضة :

بدأ المؤلف كتابه بإثبات النفس لله تعالى معتمداً على مثل قوله تعالى:
«واصطنعك لنفسك»^(١) ، وقوله: «كتب ربكم على نفسه الرحمة»^(٢) .

وقول رسول الله ﷺ :

«يقول الله أنا مع عبدى حين يذكرنى ، فإن ذكرنى في نفسه ذكره
في نفسه ، وإن ذكرنى في ملأ ذكره في ملأ خير منهم» .

ثم يثبت الوجه لله تعالى بمثل قوله جل شأنه: «ويقق وجه ربك
ذو الجلال والإكرام»^(٣) .

(١) سورة طه ، الآية ٤

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٥٤

(٣) سورة الرحمن ، الآية ٢٧

وقوله ﷺ : «مِثْلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ أَنَّهُ ابْتَغَاهُ وَجْهُ اللَّهِ مِثْلُ الْقَاتِلِ الْمُصْلِي حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدَ» .

وناقش المؤلف الخبر الوارد ، لا يقولن أحدكم لأحد قبح الله وجهك ووجهها أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته ، والنص الآخر «إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته» .

وساق مجموعة روايات وأكدا أن المراد أن وجه المضروب كوجه آدم ، ووقف عند الرواية الثالثة : فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن . ورفضها لعلل ثلاث هي :

١ - إن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده ، فأرسله الثوري ولم يقل عن ابن عمر .

٢ - إن الأعمش مدلس لم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت .

٣ - إن حبيب بن أبي ثابت أيضاً مدلس لم يعلم أنه سمعه من عطاء ..

وقال :

إن صح الخبر فعنده أن إضافة الصورة إلى الرحمن من إضافة الخلق إليه ، لأن الخلق يضاف إلى الرحمن ، إذ الخلق خلقه ، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها ، ألم تسمع قوله عز وجل «هذا خلق الله فأدروني ماذا خلق الدين من دونه ..» ^(١) .

ثم ذكر المؤلف إثبات العين لله تعالى بمثل قوله جلا شأنه «واصنع الفلك بأعيننا ووحينا» ^(٢) وقوله ﷺ «إن الله ليس بأعور» .

(١) سورة لقمان - الآية ١١

(٢) سورة هود الآية ٣٧

وأثبَت السَّمَاعُ وَالرُّؤْيَا بِمِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى «إِنِّي مَعْكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى»^(١) .
وَقَوْلُهُ عَزَّلَهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنْكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصْمَمْ وَلَا غَائِبًا» .

وَقَالَ : نَحْنُ نَقُولُ : لِرَبِّنَا الْخَالِقِ عَيْنَانِ يَبْصُرُ بِهِمَا مَا تَحْتَ الْأَرْضِ وَتَحْتَ
الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السَّفْلِيَّةِ ، وَمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَمَا يَنْهَا مِنْ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ ، ..

وَتَتَوَالَّ الْأَبْوَابُ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِّ :

- إِثْبَاتُ الْيَدِ لِلْخَالِقِ الْبَارِيِّ جَلْ وَعَلَا ..
- إِثْبَاتُ الْأَصْابِعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ..
- إِثْبَاتُ الرِّجْلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ..
- اسْتِوَاءُ خَالِقَنَا الْعُلَى الْأَعْلَى ..
- بَيْانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي السَّمَاوَاتِ ..

وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ الْمُؤْلِفُ نَفْيَ التَّشْبِيهِ وَيُرْفَضُ الْمَاهَةُ كَمَا يُرْفَضُ
الْتَّعْطِيلُ ..

وَيَقُولُ : تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ رَبِّنَا كَوْجَهِ بَعْضِ خَلْقِهِ ، وَعَنْ
أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ وَجْهٌ ، إِذَا هُنَّ قَدْ أَعْلَمُنَا فِي حِكْمَةِ تَنْزِيلِهِ أَنَّ لَهُ وَجْهًا زَوَّاهُ
بِالْجُلُولِ وَالْإِكْرَامِ ، وَنَفَى الْمَلَائِكَةَ عَنْهُ ..

* * *

كلام الله تعالى :

فصل المؤلف موضوع الكلام الإلهي فيه أن الله تعالى كلام موسى من وراء حجاب وشرح صفة كلام الله بالوحى وشدة خوف السموات منه وساق هذا الحديث :

«إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء صاحلة كجسر السلسلة على الصفا، قال : فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، فإذا أتاه جبريل فزع عن قلوبهم ، فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟

قال : يقول الحق ، قال فينادون : الحق .. الحق ..

ثم ذكر أن الله تعالى يكلم عباده يوم القيمة من غير ترجمان ، وساق آيات القرآن وأحاديث المصطفي التي يستشهد بها على أن القرآن كلام الله الخالق ، وقوله غير المخلوق ..

• • •

الروقية :

وتحدث المؤلف عن رؤية جميع المؤمنين لله تعالى يوم القيمة سواء منهم البر والفاجر ، وبين أن جميع أمة النبي ﷺ والمنافقين وبعض أهل الكتاب يرون الله عزوجل يوم القيمة ، يرأه بعضهم رؤية امتحان لاروية سرور وفرح وتلذذ ..

وهذه الرؤية قبل أن يوضع الجسر بين ظهري جهنم ، ويخص الله عزوجل أهل ولايته من المؤمنين بالنظر إلى وجهه نظر فرح وسرور . وتلذذ ..

نعم ذكر الأخبار المأثورة في إثبات رؤية النبي ﷺ خالقه العزيز العليم ، ليلة الإسراء والمعراج ، وساق كلام من رأى ابن عباس . ورأى السيدة عائشة ، ورجح رأى ابن عباس القائل بثبوت الرؤية ، ونقد موقف عائشة في تغييرها « من زعم أن محمدًا وأى ربه فقد أعظم على الله الفريبة » ، وزعم أنها قالت ذلك في وقت غضب ، وأن نفي عائشة لا يوجب علياً ، وأن إثبات ابن عباس هو الذي يجب العلم ، فإن عائشة لم تحرك عن النبي ﷺ أنه أخبرها أنه لم ير ربه ، وإنما تلت قوله تعالى « لا تدركه الأبصار » ^(١) وقوله جل شأنه « وما كان البشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من فوره حجاب أو يرسل رسولاً .. » ^(٢) .

وقال المؤلف :

ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب عسلم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال إن محمدًا وأى ربه — الروى بالغوبية على الله ، كيف بآن يقول قد أعظم على الله الفريبة ^{١١} .

وقد علق في المامش الدكتور هراس بحق الكتاب قائلاً :

ولكن لا بد للثبت أن يورد دليل الإثبات ، ومثبت الرؤية لم يقدموا أدلة على ذلك ..

والنبي هو الأصل حتى يقوم دليل الإثبات ..

وقد عضلت السيدة عائشة رضي الله عنها مذهبها في النبي بعض الآيات التي ظلت أنها تشهد لها ..

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٣

(٢) سورة الشورى الآية ١٥

وإن عذر عائشة رضي الله عنها أنها كانت تستعظام ذلك و تستنكره ،
ولهذا قالت لسرور : لقد وقف شعرى بما قلت ..
وليس من حق المؤلف أن يعلم أمه الأدب ، فهى أدرى بما تقول منه .

الشفاعة :

ذكر المؤلف شفاعة النبي ﷺ التي خص بها دون الأنبياء ، وأن
النبي أول شافع وأول مشفع ^(١) ، وشفاعة النبي ﷺ لأهل الكبار من
أمتة ، وأن الله يرضى نيه في الشفاعة يوم القيمة حتى يقى بأنه قد رضى
بما أعطى في أمتة من الشفاعة .

واختار المؤلف أن الصديقين يتلون النبي ﷺ في الشفاعة ، ثم سائر
الأنبياء ثم الشهداء .

• • •

حكم مرتكب الكبيرة :

ساق المؤلف الأخبار التي رويت في حرمان الجنة على من ارتكب
بعض المعاصي التي لا تزيل الإيمان بأمره ، ورد على المعتزلة والخوارج
وأتهمهم بالجهل :

ومن هذه الأخبار قوله ﷺ :

« لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدم من خبر » .

(١) أول شافع أي أول طالب للشفاعة ، وأول مشفع أي أول مقبوله
الشفاعة .

« لا يدخل الجنة قاطع ».

« لا يدخل الجنة العاق لوالديه والبيوته ورجلة النساء ».^(١)

« من قتل نفساً معاذه بغیر حقها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها ».

وذكر أن المراد أحد معينين :

الأول : لا يدخل الجنة أى بعض الجنان أى التي هي أشرفها وأعلاها وأكثرها نعيمها وسروراً وبهجة .

الثاني : كل وعيدي في الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة أى إلا أن يشاء الله أن يغفر ويصفح ويتكرم .

كما ساق المؤلف الأخبار التي تنبئ بدخول النار على من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان أو مات لا يشرك به شيئاً والتي احتاج بها المرجنة فتوهموا أن مرتكب هذه الغنوب كامل الإيمان لا ينقص في إيمانه .

واختار أن المراد لا يدخلها دخول الأبد كدخول أهل الشرك والأوثان ، أو لا يدخلون النار موضع الكفار منها وإنما يدخلون موضع أخرى للعقاب المقطوع الخاص بعصاة المؤمنين .

وبين جزاء آخر أهل النار خروجاً منها ودخول لا الجنة .

• • •

(١) أي المترجمة التي تتشبه بالرجال .

ملاحظات :

١ - الكتاب قائم على الروايات والآثار والاحتجاج بنصوص الكتاب والسنة، وليس فيه جدل المتكلمين ولا تفصيلات القضايا العقلية ولا تشقيقات المسائل السلامية.

وعبارات المؤلف - كما وصفها عحقق الكتاب - فيها ركاكته وضعف في التأليف^(١).

٢ - أسلوب المؤلف خطابي يعتمد على إثارة العاطفة ، فيستخدم أساليب الاستفهام وأوصاف التشبيح وعبارات التعبير والاحتجاج باللازم على الخصم .

وعلى سبيل المثال فهو يقول :

وأما احتجاج الجهمية على أهل السنة والآثار في هذا النحو يقوله «ليس كمثله شيء» فن القائل إننا خالقنا مثلاً أو إن له شبيهاً^(٢) .

وهذا من التوريه على الواقع ، والسفل يموهون بتشهيل هذا على الجهلاء ، يومئذ لهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في الحكم تزيلاً أو هلي لسان نبيه ﷺ فقد شبه الخالق بالخلق ، ونكلف يكون شلقة مثله ياذواى المحجا^(٣) .

ويقول ودا على الجهمية :

«مقالاتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن وترك

(١) ص ١٦٢

(٢) ص ٢٨

الإيمان به ، ونكذيب القرآن بالقلوب والإنكار بالألسن ، فأنذر بهذا
عن مذهب ١١ وأقبح بهذه الوجوه عندم ، عليهم لعان الله^(١) ١١

٣ - يكثر المؤلف من وصف الجهمية والمعزلة بالكفر والفسق
والضلال ، ويدعو عليهم باللعنة .

وعلى سبيل المثال يقول :

* وزعمت الجهمية عليهم لعان الله .

* ومعبد الجهمية عليهم لعان الله كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر .

* نذكر بيت الجهمية وزورهم وكذبهم على علماء أهل الآثار ،
ورميهم خيار الخلق بعد الأنبياء بما الله قد نزّهم عنه وبرأهم منه .

* لا كما فزعت الكفورة من الجهمية المعطلة .

* لعله كان يحضر مجالس أهل الزيغ والضلال من الجهمية المعطلة
والقدرية المعزلة .

وبعد — فالكتاب يمثل نهاية مرحلة الصراع السياسي وبداية مرحلة
الصراع الفكري التي أشرنا إليها في حديثنا عن نشأة علم العقيدة .

ويعد مصدراً أساسياً لفكرة ابن تيمية وأنصار الاتجاه السلفي
المحدث .

الموافق في علم الكلام

لعبد الدين عبد الرحمن الإيجي

المتوفى سنة ٦٥٦ هـ

- المقدمة
- الموقف الأول : في المقدمات
- الموقف الثاني : في الأمور العامة
- الموقف الثالث : في الأعراض
- الموقف الرابع : في الجواهر
- الموقف الخامس : في الإلبيات
- الموقف السادس : في السمعيات
- خاتمة المواقف

المواقف في علم الكلام

المقدمة :

هذا الكتاب^(١) من تأليف عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحد الإيجبي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ، وقد بين في مقدمته أن أرفع العلوم وأعلاها، وأنفعها وأجدها، وأحرارها بعقد المهمة بها، وإلقاء الشراعر^(٢) عليها، وآداب النفس فيها، وصرف الرمان إليها – علم الكلام.

ورأى المؤلف في قرنه أن هذا العلم قد اتسع ظهرياً، وصار طلبه عند الأكثرين شيئاً فرياً، فأراد أن يسلك بطلاب العلم مسالك التحقيق.

وتصفح المؤلف الكتب المصنفة في هذا الفن، فلم ير فيها ما فيه شفاه العليل أو رواه لغيل، سيباً والمهم قاصرة والرغبات فاترة، والدواعي قليلة، والصوارف مكاثرة.

كاً وجد المؤلف أن الكتب المصنفة إما مختصرات قاصرة عن إفاده المرام، وإما مطولاًات مدهشة للأفهام، وأن من المؤلفين السابقين من غرضه نقل المذاهب والأقوال وتكتير السؤال والجواب ولا يبالي إلام المآل.

ومنهم من يلتفق مغالط لترويج رأيه ولا يدرى أن النقاد من ورائه. ومنهم من يكتب حجم الكتاب بالبساط والتكرار ليظن أنه بحر زخار.

(١) ط عالم الكتب – بيروت ، ومكتبة المتنبي بالقاهرة ، ومكتبة سعد الدين بدمشق ..

(٢) إلقاء الشراعر : الترس على وجهه

ومنهم من هو كحاطب ليل وجالب رجل وخيل^(١)، ولا يستعمل حفله
ليعرف ألغى ما يأخذه أم مدين^{١٤}
وسخيف ما ألفاه أم مدين^{١٥}
وامتدح المؤلف كتابه فقال :

خداني الحدب على أهل الطلب ، ومن له في تحقيق الحق أرب ، إلى أن
ككتبت هذا كتاباً مقتضاها ، لامطولاً مملاً ولا مختصراً مخلاً ، أو دعنه
لب الألباب ، وميزت فيه القشر من اللباب ، ولم آل جهداً في تحرير
المطالب ، وتقدير المذاهب ، وترك الحجج تباخر أضاحاً ، والشبه
تضليل افتضاحاً .

وأكذ المؤلف أنه نبه على نكثت هي بناءً على التحقيق ، وفرق تدري
إلى مظان التدقيق ، وأنه نظر من الموارد إلى المصادر ، وتأمل الخارج
قبل أن يضع قدمه في الداخل ، وأنه رجع التهقرى يتأمل فيما قدم هل فيه
من قصور ؟ وهل يرى من فتور أو فطور ؟

والكتاب مرتقب على ستة موافق ، والموافق مقسمة إلى مراصد ،
ومراصد مقسمة إلى مقاصد .

• • •

(١) الرجل بكسر الجيم الماشي ، والجبل الواكب ، والمعنى أنه يسوق
الجبل ويصيغ عليهم دون تمييز بين ما ينفع وما لا ينفع .

الموقف الأول :

فـ المقدمة

وتحدث المؤلف هنا عما يجب تقديمه في كل من التعريف والموضوع والفائدة والمرتبة والمسائل والتسمية.

وعروف علم الكلام بأنه علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية يأرث الحجج ودفع الشبه.

ثم تكلم عن تعريف مطلق العلم وذكر ثلاثة مذاهب هي:

- ١ - أنه ضروري واحتاره الإمام الرازى .
- ٢ - أنه ليس ضرورياً ويعسر تحديده، وبه قال إمام الحرمين الجويني والغزالى .
- ٣ - أنه نظري .

ثم ذكر أقسام العلم إلى تصور وتصديق، وأنقسام العلم الحادث إلى ضروري ومكتسب، وحتى مذاهب العلماء في هذا المجال.

ثم قسم العلوم الضرورية إلى الوجданيات وهي قليلة النفع في العلوم لأنها غير مشتركة، فلا تقوم بها حججة على الغير.. وإلى الحسبيات والبدويات، والناس فيها فرق أربع:

- ١ - المعترفون بها وهم الأكثرون .
- ٢ - القادحون في الحسبيات فقط .
- ٣ - القادحون في البدويات فقط .
- ٤ - المنكرون لها جميعاً وهم السوفسطائيون .

ثم بسط القول في النظر، ففاق تعريفه وانقسامه إلى صحيح وفاسد .

و بين أن النظر الصحيح يفيد العلم عند اليمور، و شرح كيفية إفاده النظر للعلم، و تكلم عن النظر في معرفة الله تعالى وأنها واجبة إجماعاً، لكنهم اختلفوا في طريق الثبوت هل هو السمع أو العقل؟ وما أول واجب على المكلف؟

ثم ذكر أنواع الاستدلال وهي إما بالشكل على الجزئي وهو القياس، وإما بالجذري على الشكل وهو الاستقراء، وإما بجذري على جزئي وهو التثيل ويسمي الفقهاء قياساً.

و عد من الطرق الضعيفة قيام الغائب على الشاهد، لأنه لا بد من إثبات علة مشتركة، وهو مشكل لجواز كون خصوصية الأصل شرطاً أو الفرع مانعاً.

ثم عدد القضايا القطعية السبع وهي:
الأوليات، وقضايا قياساتها معها، والمشاهدات، وال مجريات، والخدميات،
المتوارات، والوهيات.

و عدد الظنية أربعة هي:

المسليات والمشهورات والمقبولات والمقرولة بالقرآن.

ثم قسم المؤلف الدليل إلى عقل بجمعه مقدماته، أو نقل بجمعها،
أو مركب منها.

و طرح سؤالاً في نهاية هذا الموقف هو:

هل الدلائل النقلية تفيده اليقين؟

وجاء الجواب هكذا:

قيل: لا، لتوقفه على العلم بالوضع والإرادة.

وال الأول إنما يثبت بنقل اللغة والنحو والصرف، وأصولها مثبتة برواية الآحاد؛ وفروعها بالأقوسات، وكلامها ظنيان.

والثاني يشوق على عدم النقل (إلى معنى آخر شرعى) والاشتراك والمحاذ والإضمار والتخصيص والتعميم والتأخير، والشكل لخواذه لأنجذب بانتفائه بل غايتها الفتن.

ثم بعد الأمرين لا بد من العلم بعدم المعارض العقلى، وعدم المعارض العقلى غير يقيني، إذ الغاية عدم الوجودان، وهو لا يفيد القطع بعدم الوجود.

فقد تتحقق أن دلالتها تتوقف على أمور ظنية فتسكون ظنية، لأن الفرع لا يزيد على الأصل في القوة.

والحق أنها قد تقيد اليقين لقرائن مشاهدة أو متواترة تدل على انتفاء الاحتمالات.

الموقف الثاني:

في الأمور العامة

ويعني المؤلف بالأمور العامة ما لا يختص بقسم من أقسام الموجود، التي هي الواجب والجوهر والعرض.

وبدأ بهذه التساؤل: هل المدعوم ثابت أم لا؟ وهل هناك واسطة بين الموجود والمدعوم — وهو الحال — أم لا؟

ثم تكلم عن الوجود والعدم في التعريف، وأنه مشارك، وأن الوجود نفس الماهية أو جزؤها أو زائد عليها، والوجود الفهنى، وهل المدعومات تتمايز أم لا؟ وهل المدعوم شيء أم لا؟

ثم يبحث المراد بالشيء هل هو الموجود، أو المعلوم، أو هو للقديم حقيقة وللحادث محاذًا، أو هو الجسم .. إلخ وانتهى إلى أن الزناع لفظى! (١١ - التبيدة)

ونتكلم عن الحال الذى هو واسطة بين الموجود والمعدوم وقال :
أنبته إمام الحرمين والقاضى منا وأبو هاشم من المعتزلة، وبطلانه ضرورى
وساق تعريفات القائلين بالحال ... ثم شرح الماهية تحت اتفى عشر
مقصداً منها :

- ١ - تميز الماهية عما سواها ..
- ٢ - الماهية إذا أخذت مع قيد زائد تسمى مخلوطة وبشرطى ،
ووجودها بما لا مرية فيه ،
وإذا أخذت بشرط الخلو عن الواقع سميت بمحردة ، وبشرط
لا شيء ، وأنها لا توجد في الخارج وإلا لحقها الوجود والتدين فلم تكن
محردة .
- ٣ - قال أفالاطون يوجد من كل نوع فرد مجرد أذلى أبدى قابل
لل مقابلات ..
- ٤ - الماهية إما بسيطة أو مركبة .
- ٥ - في تقسيم الأجزاء .
- ٦ - الماهيات هل هي مجمولة أم لا ؟
- ٧ - المركب إما ذات وإما صفة ..
- ٨ - الماهية قبل الشركه دون التعين ، فهو غيرها ، وقد اختلف
في التعين هل هو وجودي أم لا ؟

ثم انتقل المؤلف إلى الوجوب والإمكان والامتناع وساق أبحاث
الواجب لذاته ، وأبحاث الممكن لذاته ، وأبحاث القديم ، وأبحاث
ال الحديث وقال إن الحادث هو المسبوق بالعدم وعدم الحادث متقدم على
وجوده ضرورة ..

ثم تكلم عن الوحدة والكثرة ، وعرف الوحدة بكون الشيء لا ينقسم إلى أمور تشاركه في الحقيقة ، وعرف الكثرة بكون الشيء بحيث ينقسم إلى أمور تشاركه في الحقيقة ..

وأكيد بمجموعة قضايا منها أن الاثنين هما المتغايران ، وأن الاثنين لا يتحدا ، وأن الاثنين عند أهل الحق ثلاثة أقسام :

المثلان والضدان والمتخالفان .

وختم الموقف الثاني بالحديث عن العلة والمعلول وبين أن المحتاج إليه يسمى حلة ، والمحتاج يسمى معلولاً ، وأن العلة إما جزء الشيء أو خارج عنه ، وأن الواحد بالشخص لا يحال بعلتين مستقلتين ، وأنه يجوز عند المتكلمين استناد آثار متعددة إلى مؤثر واحد بسيط ، ومنه الحكم إلا بتعدد آلة أو شرط أو قابل ..

وشرح معنى الدور والتسلسل وحكم بأنهما من الحال ..

• • •

الموقف الثالث :

في الأعراض

بدأ بمقيدة في تقسيم الصفات إلى نفسية تدل على الذات دون معنى زائد ، ومعنى و هي التي تدل على معنى زائد ..

ثم عرف العرض وذكر أقسامه عند المتكلمين والحكام ، وشرح أحکامه بأنه لا ينتقل ، ولا يجوز قيام العرض بالعرض ، ولا يقوم العرض بمحلين ، ولذلك نجزم بأن السواد القائم بهذا المثل غير القائم بالمثل

الآخر، وذهب الشيخ الأشعري ومتبعوه إلى أن العرض لا يرقى فرمانين.
وقالت الفلسفية بيقام الأعراض ..

ثم تكلم عن الحكم وخواصه وأقسامه، والزمان وحقيقة، والمكان.
ووجوده ..

ثم خاض المؤلف في الكيفيات وقسمها إلى أربعة :
المحسوسية ، والنفسيانية ، والخاصة بالكميات ، والاستعدادات، وقسم
المحسوسية إلى الملموسات والابصرات والسموعات ... وتكلم في الكيفيات
النفسانية عن الحياة والموت والعلم والجهل ومراتب العقل ، والمزاج ،
والحبة واللذة والألم ..

وتكلم في الكيفيات الخصبة بالكميات عن الزوجية والفردية
والثنائية والتربيع والخط المستقيم ..

وأخيراً تكلم عن المقولات النسبية وأنواع الكون الأربعة والحركة
والحكم والحكيم والعمل للحركة الطبيعية ..

وشرح خواص المضاف وتقسيمات الإضافة وأنواع التقدم بالعلمية
والذات والزمان والشرف والرتبة ..

الموقف الرابع :

في الجوهر

وبدأ بتقسيم الحكماء الجوهر إلى ما كان حالاً وهو الصورة، وما كان عملاً لها وهو الميولي، وما كان مركباً منها وهو الجسم، وما كان متعلقاً بالجسم تعلق التدبير والتصرف وهو النفس وإنما العقل ..

وهذا بناء على نفي الحكماء للجوهر الفرد ..

وقال المتكلمون لا جوهر إلا المتعين، فإما أن يقبل القسمة وهو الجسم أولاً قبلها وهو الجوهر الفرد ..

ثم شرح حقيقة الجسم وأجزاءه، وأنوار بعض القضايا الهندسية كالمربع والمثلث والدائرة، والضلوع، والقطر، والوتر، والمحيط ..

ثم تكلم عن الأفلاك وقال إن عددها بالرصة تسعة وهي فلك الأفلاك وهو المسمى بالفلك الأطلسي، وبالعرش الجيد في لسان الشرع، وتحته فلك الثوابت ثم فلك المشترى ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس ثم فلك الزهرة ثم عطارد ثم فلك القمر وهو السماء الدنيا، وخاصض في حركة الأفلاك والفصول الأربع والبروج، وخشوف القمر وكسوف الشمس، والمناصر الأربع وكروية الأرض وقضاريسها وطبقاتها ..

وشرح معانى المطر والثلج والظل والصقيع والدخان والرعد والبرق والصاعقة والشهب والأذناب والنیازک ..

وقسم المعادن إلى متطرفة كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد، وإلى غير متطرفة كالزinc والزنك ..

وَقْسِ الْمَزَاجِ إِلَى :
الْحُرَارَةُ وَالْبَرُودَةُ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيُوْسَةُ .

وَقْسِ النَّفْسِ إِلَى :
الْبَنَاتِيَّةُ وَالْحَيْوَانِيَّةُ وَالْإِنْسَانِيَّةُ .

وَسَاقَ الْأَدَلَةَ عَلَى حدُوثِ الْأَجْسَامِ وَحْكَمَةِ فَنَاءِ الْعَالَمِ وَأَنَّ الْجَسْمَ
لَا يَخْلُوُ عَنِ الْعَرْضِ وَضَدِّهِ ، وَأَنَّ الْأَبعَادَ مُتَنَاهِيَّةٌ سَوَاءً كَانَتْ فِي مَلَاءِ
أَوْ خَلَاءِ ..

وَخَتَمَ بِمَجْمُوعَةِ مِبَاحِثٍ تَعْلَقُ بِالنَّفْسِ وَالْعُقْلِ ..

* * *

الْمَوْقَفُ الْخَامِسُ :

فِي الْإِلَهِيَّاتِ

وَقَدْ شَرَحَ الْمُؤْلِفُ هَذَا الْبَلَاغَ فِي مَجْمُوعَةِ اِنْجِهَاهَاتٍ ، سَهَّا هَا مِرَاصِدُهُ ،
هِيَ عَلَى النَّحْوِ التَّالِيِّ :

١ - إِثْبَاتُ الصَّانِعِ :

وَذَكَرَ بِمَسَالِكِهِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْحَكَمَاءِ فِي الْاسْتِدَلَالِ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى .
بِحدُوثِ الْعَالَمِ وَإِمْكَانِهِ ..

وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ ذَاهِهَ تَعَالَى مُخَالَفَةَ لِسَائِرِ الْفَوَاتِ ، فَهُوَ سَبَّحَاهُ مُنْزَهٌ
عَنِ الْمِثْلِ وَالنَّدِ ..

وَتَكَلَّمَ عَنْ أَنَّ وُجُودَهُ تَعَالَى نَفْسٌ مَاهِيَّةٌ أَوْ زَانِدَ عَلَيْهَا ؟

وَأَنَّهُ مَسَاوٌ لِوُجُودِ الْمَكَنَاتِ أَوْ مُخَالَفِهِ ؟

٢ — في تزييه تعالى :

وأراد بالتنزيه الصفات السلبية وهي أنه تعالى ليس فوجها ولا مكان، وأنه تعالى ليس بجسم ، وليس جوهرا ولا عرضا ، وليس في زمان ، وأنه تعالى لا يتحد بغيره ولا يخل في غيره ، وأنه تعالى يمتنع أن يقوم بذاته حادث ، ولا يتصرف بشيء من الأعراض ..

٣ — في توحيده تعالى :

وهو أنه يمتنع وجود إليين مستجهمين لشراط الإلهية وساق دليل المتكلمين والحكماء ..

٤ — في الصفات الوجودية :

تتكلم عن إثبات الصفات على وجه عام ثم تتكلم عن القدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والحياة والكلام ..

وشرح مسألة القرآن هل هو مخلوق أو قديم ؟ ثم ذكر صفات اختلف فيها وهي :

البقاء هل هو زائد على الوجود أم لا ١٤

والقدم هل هو قديم بنفسه أم بقدم زائد ١٥

والاستواء والوجه واليد والعينان والجنب والقدم والأصم والبین
هل هذه صفات أو معان بجازية ١٦

٥ — فيها يجوز عليه تعالى :

وبنحو هنـا موضوعـين :

الأول : الرؤية وحمل الحديث عنها في مقامات ثلاثة :

(١) الصحة فذهب الأشاعرة إلى أنه تعالى يصح أن يرى ، ومنعه الآكثرون .

(ب) وقوع الرؤية ، والآراء ثلاثة : يصح ويرى ، لا يرى ولا يصح ، يصح ولا يرى ..

(ج) شبه المتكلمين ، وقسمها إلى عقلية ونقلية .

الثاني : في العلم بحقيقة الله تعالى ، والكلام في الواقع والجواز ، أما الواقع فإن حقيقة الله تعالى غير معلومة للبشر ، وعليه جهود المحققين ، وقد خالف فيه كثير من المتكلمين .

وأما الجواز ، ففي جواز العلم بحقيقة الله تعالى خلاف ، ومنه الفلسفة .

٦ — في أفعاله تعالى :

وقد طالع بمجموعة قضايا مهمة هي :

• أن أفعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وحدها ، وقالت المعتزلة بقدرة العبد وحدها ، وقالت طائفة بالقدرتين .

• التوليد فالمعتزلة لما أسندوا أفعال العباد إليهم ورأوا فيها ترتباً قالوا بالتوليد ، وهو أن يجب فعل لفاعله فعلاً آخر ، نحو حركة اليد والمفتاح وقد أبطله الأشاعرة لاستناد جميع الممكنات إلى الله تعالى ابتداء ..

• البحث عن أمور صرحت بها القرآن وانعقد عليها الإجماع وميّزونها وهي :

— الطبيع والختم والأكنة ..

— التوفيق والهدایة ..

— الأجل وهل المقتول ميت بأجله أم لا ؟

— الرزق هل هو كل مأساته الله إلى العبد أم هو الملال فقط ؟

- الأسماء فالنضر هو الله، وأما عند المعتزلة فختلف فيه هل هو فعل مباشر من العبد أم هو متولد من فعل الله؟
- إرادة الله تعالى بجميع الكائنات أو للأمور به فقط؟
 - الحسن والقبح شرعيان أو عقليان؟
 - تكليف ما لا يطاق جائز عند الأشاعرة ومنه المعتزلة لقبحه؟
 - ذهب الأشاعرة إلى أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض، وخالفهم المعتزلة ..

٧ — في أسماء الله تعالى :

تكلم المؤلف على أن الاسم غير التسمية، وبين أقسام الاسم، وشرح الأسماء النصمة والتسميع وقال عقب ذلك : بهذه هي الأسماء الحسنى، نسأل الله برకتها أن يفتح علينا أبواب الخير، ويغفر لنا، ويرحمنا، إنه هو الغفور الرحيم .

* * *

الموقف السادس : في السمعيات :

وحصر المؤلف السمعيات في أربعة موضوعات هي :

- ١ — النبوات .
- ٢ — المعاد .
- ٣ — الأسماء والأحكام .
- ٤ — الإمامة .

وفي موضوع النبوات شرح معنى النبي وحقيقة العجزة وكيفية حصولها وإمكان البهيمة، وإثبات نبوة سيدنا محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإعجاز القرآن، وخصمة الأنبياء، والمقابلة بين الأنبياء والملائكة ..

وختم هذا الموضوع بكرامات الأولياء، وأنها بجائزة عند أهل السنة، وواقعة خلافاً للأستاذ أبي إسحق والخطيب ..

. وفي موضوع المعاد شرح جوانب متعددة وعرض لقضايا كثيرة مثل إعادة المدوم ، وحشر الأجساد ، والجنة والنار هل هما مخلوقان ؟ والثواب والعقاب هل هما واجبان أم أن الثواب فضل والعقاب عدل ؟

وحكمة من تكتب الكبيرة وعصاة المؤمنين ، ورأى المعتزلة في الإحباط أى إحباط الطاعات بالمعاصي ، وشفاعة سيدنا محمد ﷺ ، والتوبة وحقيقة وأحكامها ، وإحياء الموتى في قبورهم ، والصراط والميزان والحساب وقراءة الكتب والحوض المورود ، وشهادة الأعضاء . . .

وفي موضوع الآراء والاحكام تكلم عن حقيقة الإيمان وهل يزيد وينقص ؟

وشرح حكم المخالف للحق من أهل القبلة هل يكفر أم لا ؟
وذكر تكفير كل فرقه لخالفتها ، وأنكر ذلك ، ورد دعاوى التكفير ، وأثبت أن جهور المتكلمين والفقهاء على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة .

وفي موضوع الإمامة ناقش وجوب نصب الإمام ، وشروط الإمامة ، وما ثبت به ، ومن هو الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ وحكم إمامه المفضول مع وجود الفاضل ..

وأوجب المؤلف تعظيم الصحابة كفهم والكف عن القدح فيهم لأن الله عظمهم وأثني عليهم في غير موضع من كتابه ، والرسول ﷺ قد أحبهم وأثني عليهم في أحاديث كثيرة ..

خاتمة المواقف :

جاءت خاتمة الكتاب في ذكر الفرق التي أشار إليها الرسول ﷺ بقوله « ستفترق أمتي ثلاثة وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي ما أنا عليه وأصحابي ». .

وجعل المؤلف كبار الفرق ثمانية هي :

المعتزلة — الشيعة — الخوارج — المرجئة التجارية — الجبرية —
المشبهة — الناجية .

وحدد المؤلف الفرقة الناجية بأنها الأشاعرة والسلف من المحدثين
وأهل السنة والجماعة .

وساق اعتقادهم ثم قال : ولا يكفر أحداً من أهل القبلة إلا بما فيه
نفي الصانع القادر العليم ، أو شرك ، أو إنكار للتبعة ، أو ما علم مجده
عليه السلام به ضرورة ، أو لم يجمع عليه كاستحلال المحرمات .

وأما ما عداه فالقاتل به مبتدع غير كافر ، وللفقهاء في معاملاتهم
خلاف ، هو خارج عن فتنا هذا ..

• • •

تعقيب :

تحمل عضد الدين الإيجي حملة ثقيلة ، واستوعب تراثاً ضخماً ،
وحقق قضياء عدة ، وعرض لذاهب شئ ، شملت العلم في فتوحه كلها ..

. لقد خاض في المنطق حين تكلم عن النظر والتصور والتصديق
وأنواع الاستدلال .

وخاص في الفلسفة حين تكلم عن الجوهر والعرض ، والوجوب
والإمكان والحدث ، والوحدة والكثرة ، والعلة والعلول .

وخاص في الفلك حين تكلم عن الكواكب والنجوم وحركاتها ،
والكسوف والخسوف .

وخاص في الرياضيات حين تكلم عن المثلث والربع والدائرة
والخط المستقيم .

وخاص في الجغرافيا حين تكلم عن كروية الأرض وطبقاتها ومعادنها
والعناصر الأربع ..

وخاص في الكيمياء حين تكلم عن المركبات والعناصر ..

وخاص في الطبيعة حين تكلم عن الصوت والضوء ..

وخاص في علم النفس حين تكلم عن النفس والعقل والمزاج والذلة
والآلم ..

بالإضافة إلى كل علوم الشريعة واللغة .

وساق عضد الدين الإيجي كل مذاهب الفلاسفة والمتكلمين في قضيائهما
العقيدة بأمانة في النقل والعرض ، ودقة في المناقشة والنقد .

الأمر الذي يدل على عقليته الجبارية ، وقدرته الفائقة ، ومهارته
العالية .

ومن ذلك فإن التساؤل المطروح هو :

هل قضيائهما العقيدة متوقفة على هذه المقدمات البعيدة والغريبة التي
استورهيت أو بعثة موافق من ستة ، هي مجموعة مباحث الكتاب ؟

أظن أن الأمر أهون من ذلك ، وأن أمور العقيدة في وضوئها
ويسرها لغى عن هذه المسالك الوعرة ..
ولهذا وقف العلماء من هذا الاتجاه الكلامي المؤغل في الفلسفة
موقفين :

موقف الرفض ، وموقف القبول ..

وعلى سبيل المثال فإن الشيخ السنوسى في عقيدته الصغرى يقول :

وليحضر المبتدئ جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت
بكلام الفلاسفة ، وأولع مؤلفها بنقل هوسيهم وما هو كفو صراح منه
عقائدهم ، التي ستروا نجاستها بما ينبعهم على كثير ، من اصطلاحاتهم
وعباراتهم التي أكثرها أسماء بلامسيات .

وذلك ككتاب الإمام الفخر في علم الكلام ، وطوال البيضاوى ،
ومن حذا حذوها في ذلك .

وقل أن يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة أن يكون له نور إيمان
في قلبه أو لسانه .

وفي حاشيته على الكتاب قال الشيخ محمد المسوقى :

« أو من سلك مسلكها (الفخر الرازى والبيضاوى) كالآدمى
والعلامة السعد والعضد وابن عرفة » .

ثم نقل عن البرهان اللقائى قوله في هداية المريد :

إن كلام الأولائل كان مقصوراً على الذات والصفات والثبات
والسمعيات ، فلما حدث طوائف المبتدعه كثُر جدالهم مع علماء الإسلام ،
وأوردوا شبهًا على ما فرقوا الأولائل ، وخلطوا بذلك الشبه بكثير من

قواعد الفلسفة ليستروا ضلالهم ، فقصدى المتأخرون كالغافر ومن ذكره
معه لدفع تلك الشبهة ، وهم تلك القواعد ، فاضطروا الإدراجه فى كتبهم
لأجل أن يتمكنوا من الرد عليها ، ببيان المقصود منها ، وإيضاح
مفاسدها .

فظهر أنهم معذورون في إدراجهما فى كتبهم ، ولا لوم عليهم في ذلك ،
ولا يصح توجيه الاتهام لهم .

وتحذير المتأخرين عن تعاطي كتبهم إنما هو للقاصرین الذين لا يصلون
لفهمها ، ثم نقل عن الشيخ الملوى أنه لا اعتراف على الإمام الغافر الرازي
ومن معه لأنهم فعلوا ذلك ليتمكنوا من الرد على طوائف المبتدةعة ، فقد
فعلوا المناسب في ذلك الزمان ، (١) .

(١) حاشية على شرح أم البراهين ، تأليف محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي
المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ وبها مش شرح أم البراهين لمحمد بن يوسف السنوسى
الحسيني المتوفى سنة ٨٩٥ هـ ص ٧٠ ط الحلبي سنة ١٣٥٨ هـ سنة ١٩٣٩ م .

شرح العقيدة الطحاوية
للعلامة ابن أبيaldo الموصي
المتوفى ٧٩٢هـ

• تقدیم

• قضية التوحید

• نبوة سیدنا محمد ﷺ

• رؤية الله تعالى

• مسائل عقدية

• ملاحظات

شرح العقيدة الطحاوية

تقديم :

هذا الكتاب من أهم كتب العقيدة السلفية بين طلاب العلم في المملكة العربية السعودية .
والكتاب يقوم على متن وشرح .

أما المتن فهو المسمى «العقيدة الطحاوية»، نسبة إلى الإمام أبي جعفر
أحمد بن محمد بن سلامة بن سلامة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي من قرية
طحا بصعيد مصر ، ولد سنة ٢٣٩ هـ وتوفي سنة ٣٢١ هـ .

أما الشرح فقد ظلل يجهولاً حتى من الدهر ثم تبين أنه أصدر الدين محمد
بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي ، المولود سنة ٧٣١ هـ
والمتوفى بدمشق سنة ٧٩٢ هـ على الأرجح .

وكلا الإمامين حنف المذهب ، قال الشارح في مقدمته : «ومن قام بهذا
الحق (حفظ أصول الدين) من علماء المسلمين الإمام أبو جعفر أحمد بن
محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، تعمده الله برحمته ، بعد الماتين ، فإن
مولده سنة تسع وثلاثين ومائتين ، ووفاته سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

فأخبر — رحمة الله — عما كان عليه السلف ، ونقل عن الإمام أبي
حنيفة النعيم بن ثابت الكوفي ، وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم
الخميري الانصارى ، ومحمد بن الحسن الشيباني رضي الله عنهم — ما كانوا
يعتقدون من أصول الدين ، ويدينون به رب العالمين »^(١) .

(١) شرح العقيدة الطحاوية — تحقيق جماعة من العلماء ص ٦٩ ط
المكتب الإسلامي سنة ١٤٩٩ هـ بيروت .

(١٢ — التهيد)

ونهى الشارح على البدع والتعريفات التي ظهرت بعد حصر الراشدين، ورفض مسألة التوفيق بين العقل والنفل على طريقة المتكلمين وال فلاسفة، وسي عقلياتهم جهيليات.

قضية التوحيد :

ثم بدأ الشارح التعليق على عبارة المؤلف :

«نقول في توحيد الله معتقدين — بتوفيق الله — أن الله واحد لا شريك له» .

فيین أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل .

واعتدار الشارح أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان ، وليس النظر ، ولاقصد إلى النظر ، ولا الشك .

وتحميص التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

• توحيد الأسماء والصفات .

• توحيد الربوبية .

• توحيد الإلهية .

وناقش نقاوة الصفات في قوله :

إن إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب .

وذهب إلى أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متباينين في الصفات والأفعال ، فإن الثنوية من المجرور ، والمانوية القائلين بالأصلين ، النور والظلمة ، وأن العالم صدر عنها — متفقون على أن النور خير من الظلمة ، وهم متنازعون في الظلمة ، هل هي قديمة أو حديثة ، فلم يثبتوا رياض متباينين .

وأما النصارى القائلون بالثلثة، فإنهم لم يثبتوا العالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل يتفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون باسم الآب والابن وروح القدس، إله واحد، وقولهم في التشليث متناقض في نفسه وقولهم في الحلول أشد منه.

ويرى الشارح أن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الريوية دون المكروه ..

ويسوق اتفاق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ثم يستدرك بأن لفظ التشبیه قد صار فكلام الناس لفظاً بمحلاً يراد به المعنى الصحيح .

ويؤكد الشارح أن النفي الممعطلة أحسنوا في تزييه الخالق سبحانه عن التشبیه بشيء من خلقه ولكن أساءوا في تقيي المعانى الشافية لله تعالى في نفس الأمر ..

والمتشبه أحسنوا في إثبات الصفات ولكن أساءوا بزيادة التشبیه .

فكلما الفرق بين زادوا على الحق فضلوا ..

وأتهم الشارح المتكلمين بأنهم أدخلوا في أسماء الله تعالى لفظ القديم، وأن كثيراً من السلف والخلف ينكرون ذلك .

ويقسم الشارح إرادة الله تعالى إلى نوعين :

• إرادة قدرية كونية وهي المشببة العامة الشاملة لمجتمع الموجودات ..

• إرادة دينية شرعية وهي المتضمنة للحبة والرضا ..

وحول تعليق الحادث بذات الرب تعالى يرى ابن أبي العز أنه لم يرد نفي لذلك ولا إثبات في كتاب ولا سنة، وأن هذه المسألة فيها إجماع :

فإن أريد بالنفي أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من
خلوقاته المحدثة ، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن ، فهذا نفي

صحيح ..

وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية ، من أنه لا يفعل ما يريد ،
ولا يتكلم بما شاء إذا شاء ، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ،
ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والآتيان كما يليق
بجلاله وعظمته ، فهذا نفي باطل .. ^(١)

ويقبل الشارح تسلسل الحوادث أولاً وأبداً ، فأفعال الله تعالى
دائمة في الأبد ، كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر
لا نفاد له ، وأن كل فعل من طرف الأزل مسبوق بفعل آخر ، ويرفض
أن يكون الله موجوداً وحده ولا مخلوق معه أصلاً ، لأن الفعل أكمل من
عدم الفعل ، وأن الفعل والإرادة متلازمان ..

ويسمى هذا التسلسل بالسلسل الواجب الذي دل عليه العقل
والشرع ^(٢) ..

ويحرص الشارح على إثبات الجهة والفوقيـة قـه تعالى ويقول :

لو لم يتصف سبحانه بفـوقـية الذـات مع أنه قـائمـ بنـفسـهـ ، خـيرـ خـالـطـ
الـعـالـمـ ، لـكـانـ مـتـصـفـاـ بـضـدـ ذـلـكـ ، وـضـدـ الـفـوـقـيـةـ السـفـولـ ، وـهـوـ مـذـمـومـ.
عـلـىـ الإـطـلـاقـ ، لـأـنـ مـسـتـقـرـ إـبـلـيـسـ وـأـتـبـاعـهـ وـجـنـوـدـ ..

ولو لم يكن قابلاً للعلو والفوقيـةـ لم يكن له حـقـيقـةـ قـائـمةـ بنـفـسـهاـ ..

(١) ص ١٢٩

(٢) راجع ص ١٣٥

ويسوق الشارح عشرين نوعاً من النصوص يرافقها دليلاً على مذهبه ، منها قوله تعالى « وهو العلي الكبير » ..

• • •

نبوة سيدنا محمد ﷺ :

يرى ابن أبي العز الدمشقي أن دلائل نبوة الأنبياء غير محصورة في المعجزات ، وأن من صرف الرسول وصدقه ووفاته ومطابقة قوله لفعله — جل يقيناً أنه ليس بشاعر ولا كاهن ..

ويؤكد الشارح أن إنكار رسالة سيدنا محمد ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى ، ونسبة له سبحانه إلى الظلم والسفه لأنه أيده ونصره ومكن لدينه ودولته ..

وفرق بين النبي والرسول بأن من نبأه الله بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ خيره فهو نبي رسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ خيراً فهو نبي وليس برسول ، فالرسول أخص من النبي ..

وشرح ابن أبي العز مسألة التفاضل بين الأنبياء ، وأثبتت لسيدنا محمد ﷺ أعلى مراتب الحبة وهي الخلة ، ورفض قول من قال إن الله خص إبراهيم بالخلة ومحمداً بالحبة ، وقال إن الخلة تختص بإبراهيم ومحمداً حليهما الصلاة والسلام ، واستدل بالحديث الشريف «إن الله اخْذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» وبال الحديث الآخر «لو كنت متخدداً من أهل الأرض خليلًا لاتخذت أباً بكر خليلًا ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن» .

· أما الحبة فهي عامة لكل المؤمنين ..

ثم تكلم عن ختم النبوة وعموم الرسالة الحمدية، والإسراء والمعراج،
والخوض والشفاعة .. إلخ.

• • •

رؤبة الله تعالى :

عد ابن أبي العز مسألة الرؤبة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها،
وجعلها الغاية التي شعر إليها المشعرون ، وتنافس فيها المتناسون .

وساق مذاهب المخالفين لأهل السنة من الجهمية والمعزلة والخوارج
والإمامية، ورد استدلال المعزلة بقوله تعالى «لن تراني» وقوله جل شأنه
«لا تدركه الأبصار»، وأكده أن أحاديث الرؤبة رواها نحو ثلاثة
صحابيا .

ثم حدد محل الاتفاق بين أهل السنة، وهو رؤبة أهل الجنة لهم ،
لكنهم اختلفوا في رؤبة أهل الخسرو على ثلاثة أقوال :

١ - أنه لا يراه إلا المؤمنون :

٢ - أنه يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يتحجب عن الكفار
ولا يرونه بعد ذلك .

٣ - أنه يراه مع المؤمنين المتفاقون دون بقية الكفار .

ثم أكد الشارح أن الأمة اتفقت على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه،
ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا محمد ﷺ خاصة ، منهم من نفي رؤيته
بالعين ، ومنهم من أثبته لها ﷺ .

وساق رأى القاضي عياض بأنه ليس هناك قاطع ولا نص في رؤبة

الرسول لربه بعينه ، والمعول فيه على آياتي النجم ، والتنازع فيها مأثور ،
والاحتلال لها ممكناً .

• • •

مسائل عقدية :

وتواترت المسائل والمواضيعات فشرح ابن أبي العز :

- ميثاق بنى آدم .
- القضاء والقدر .
- الإيمان بالملائكة .
- الإيمان بالكتب المترفة على المرسلين .
- التفاضل بين الأنبياء والملائكة ، وعدها من فضول المسائل ، ونقل أن آبا حنيفة توقف في الجواب عنها .
- حكم مرتكب الكبيرة .
- الإيمان والإسلام .
- طاعة ولـى الأمر ولو كان جائزًا مالم يأمر بمحصنة .
- عذاب القبر ونعيمه .
- البعث والحساب والجزاء .
- دعاء الأحياء وصدقاتهم للأموات .
- كرامة الأولياء .
- أشرطة الساعة .

وختم الكتاب بتعریف موجز لفرق المترفة والجهمية والجبرية .

والقدرية ، وشبه علماء المعتزلة باليهود ، وشبه عباد الصوفية
بالنصارى .

* * *

ملاحظات :

١ - إن عقيدة الطحاوى عمل قبول لدى جمورو العلماء سلفاً وخلفاً
ـ كما قال الشبكي ـ لكن الشارح ابن أبي البر أسقط عليها إسقاطات
لا يعرفها الطحاوى ولا يقصدها .

ف عند أول عبارة للطحاوى وهى :

نقول في توحيد الله معتقدين ـ بتوفيق الله ـ أن الله ذاحد
لا شريك له .

إذا بالشارح يتكلم عن أول واجب على المكلف ويرجح أنه
الشهادتان ، ثم يقسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع ، هي توحيد الأسماء
والصفات وتوحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ، ويثبت الجهة والغوفية لله
تعالى ، ويخوضن في أشياء ليست محل قبول لدى جمورو العلماء ، وهي تمثل
اجتهاد فرد ، يؤخذ منه ويرد عليه .

وقد وقع الشارح في حيص يص ومائق شديد حين وقف أمام قوله
الطحاوى :

« وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأاهناء والأدوات ،
لأنهويه الجهات الست كسائر المبتدعات » .

وأخذ الشارح يسوق تفسيرات ويدخل في تأويلات حتى لا يتناقض

مع رأيه في الجهة والفوقيـة، وزعم أنه كان الأولى بالشيخ الطحاوي ترك هذه الألفاظ^(١) ..

٢ - إذا كان ابن أبي العز قد نهى على المتكلمين اصطلاحاتهم بتوسيعياتهم فقد وقع فيها نقدـه، وخاض فيها نـى عنه، وكان منهجـه في معالجة قضايا الخلاف قـائماً على المنهج السـكلاـي^(٢) ..

ومن الأمور الجديـرة بالاعتـبار أن أنصار الاتـجاه السـلـفي يـتحـمـلـون دـائـماً في مواجهـة خـالـقـيـهم بأن ذلكـ لم يـرـدـ أوـ لم يـتـكلـ فـيـ الصـحـابـةـ أوـ لم يـعـرـفـه السـلـفـ ..

ونسـوقـ موقفـاً لـابـنـ أـبـيـ العـزـ لـعـلهـ يـكـوـنـ أـلـغـ بـرـدـ عـلـىـ هـؤـلـاءـ المـسـلـفـينـ :
فـنـيـ مـسـأـلـةـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ وـإـهـادـهـ ثـوـابـهاـ لـلـمـيـتـ قـالـ الشـارـحـ :
وـأـمـاـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ وـإـهـادـهـ لـهـ تـطـوـعاـ بـغـيرـ أـجـرـةـ فـهـذـاـ يـصـلـ إـلـيـهـ كـاـ
يـصـلـ ثـوـابـ الصـومـ وـالـحـجـ ،ـ فـإـنـ قـيلـ :ـ
هـذـاـ لـمـ يـكـنـ مـعـرـوفـاـ فـيـ السـلـفـ ،ـ وـلـأـرـشـدـهـ إـلـيـهـ النـبـيـ ﷺـ ؟ـ

فـاجـوـابـ :

إـنـ كـانـ مـوـرـدـهـذـاـ السـؤـالـ مـعـتـرـفـاـ بـوـصـولـ ثـوـابـ الـحـجـ وـالـصـومـ وـالـمعـاهـ
قـيلـ لـهـ :ـ مـاـ الفـرقـ بـيـنـ ذـلـكـ وـبـيـنـ وـصـولـ ثـوـابـ قـرـاءـةـ الـقـرـآنـ ؟ـ
وـلـيـسـ كـوـنـ السـلـفـ لـمـ يـفـعـلـوهـ ؟ـ حـيـةـ فـيـ عـدـمـ الـوصـولـ ..

وـمـنـ أـيـنـ لـنـاـ هـذـاـ النـفـيـ الـعـامـ ؟ـ
فـإـنـ قـيلـ :ـ فـرـسـوـلـ أـللـهـ ﷺـ أـرـشـدـهـ إـلـىـ الـصـومـ وـالـحـجـ وـالـصـدـقـةـ
دـوـنـ الـقـرـاءـةـ ؟ـ

(١) راجـعـ صـ238ـ:ـ245ـ

(٢) راجـعـ ماـ قـلـنـاهـ سـابـقاـ فـنـشـأـةـ عـلـمـ الـعـقـيدـةـ وـتـطـوـرـهـ

قيل : هو ~~مكروه~~ لم يبيتهم بذلك ، بل خرج ذلك منه خرج المواب لحم ، فهذا سأله عن الحج عن ميته ، فأذن له فيه ، وهذا سأله عن الصوم عنه ، فأذن له فيه ، ولم يمنعهم مما سوى ذلك .

وأى فرق بين وصول ثواب الصوم – الذي هو مجرد نية وإمساك – وبين وصول ثواب القراءة والفكرون ..؟^(١) .

وبعد :

فالكتاب فيه عرض لكافة عقائد اليمين ، وكثير من قضاياه حل اتفاق لدى أهل السنة ، ومواطن الاختلاف تكمن في مسألة الأسماء والصفات ، وإثبات جهة العلو والفوقيـة ، والكلام الإلهي الذي فسره بالصوت والحرف .

رسالة التوحيد

للأستاذ الإمام محمد عبده

١٢٦٦ - ١٣٢٣

• المؤلف وسبب التأليف

• المقدمات

— علم التوحيد ومنهجه

— عصر الخلافة

— حملة المشاعل

— موقف الفلسفة

— مذهب الأستاذ الإمام

• الإلميات

• النبوات

• ترقى الأديان بترقى الإنسان

• انتشار الإسلام

• ولنا ملاحظات

رسالة التوحيد

المؤلف :

هو الأستاذ الإمام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ) مفتى الديار المصرية، وتلميذ الإمام جمال الدين الأفغاني، وشيخ السيد محمد رشيد رضا ..

سبب التأليف:

شرح الشيخ محمد عبده في مقدمة رسالته^(١) أسباب التأليف ورجال التدوين، فذكر أنه أبعد عن مصر سنة ١٢٩٩ هـ وعاش في بيروت، فدعي لالقاء دروس في المدرسة السلطانية، فأتم على تلاميذه ما فتح الله به عليه في علم التوحيد ..

فلما عاد إلى مصر نسى ما أتم، وذهب عن خاطره جميع ما ألقى، ثم بدا له أن يشغل أوقات فراغه بمدارسة شيء من علم التوحيد، فأرسل إلى بعض تلاميذه يطلب منه ما سجّله في دفتره وتلقاه بين يديه ..

وحيث وصلته تلك الأمالي قرأها فإذا المكتوب قريب مما أحب، فيه مسلك السلف، بلا عيب في سيرة آراء الخلف، لكنه يحتاج إلى بسط بعض عباراته، وتحرير بعض مقدماته، وزيادة ما غفل، وحذف ما فضل ..

(١) تحقيق محمود أبو رية ط الرابعة - دار المعارف بمصر

المقدمة :

رسالة التوحيد تقوم على مجموعة مقدمات وبعض مباحث تتعلق بالآلهيات والنبوات .

١ - علم التوحيد ومنهجه :

في المقدمات عرف علم التوحيد بأنه علم يبحث فيه عن وجود الله تعالى وما يجب أن ينسب له من صفات، وما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفي عنه ...

وعن الوصل لآثاره رسالتهم وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يتمنى أن يلحق بهم ..

ثم ذكر أن علم تقرير العقائد كان معروفاً عند الأمم، وأن القائمين على أمر الدين قبل الإسلام قاتلوا ينحرون في بيانيهم نحو الدليل العقلي، وكثيراً ما صرخ الدين على لسان رؤسائه أنه عدو العقل نتائجه ومقدمةه ..

فليا جاء القرآن نهج بالذين منهجاً يمكن لأهل الزمان الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه ، فأقام الدعوى وبرهن ، وحكي مذاهب الخالقين وذكر عليها بالمحجة ، وخطاب العقل واستهض الفسكون وعرض نظام الأكوان ..

وتآخي العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل بتصریح لا يقبل التأویل ، وأجمع المسلمون — إلا من لا يعتقد بعقله ولا دینه — أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل ..

٢ - عصر الخلافة :

وبدأ الشيخ محمد عبده يورخ لنشأة علم التوحيد فأكَدَ أن النبي ﷺ
كان المرجع في الحيرة ، والمرجع في ظلمات الشبه ، ومضي زمانه وزمان
الخلفتين أبي بكر وعمر ولم يكن هناك خلاف في أصول العقائد ، وأغلب
الخلاف كان في فروع الأحكام ، وكان الناس يفهمون إشارات الكتاب
ونصوصه ، يعتقدون بالتنزيه ، ويفرضون فيها يوم التشبيه ، ويررون أن
له معنى غير ما يوحيه ظاهر اللفظ ..

ثم حدث ما حدث في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وفتح الباب
لتعدي الحدود ، وتلاعبت الشهوات بالعقل ، وأسلم بعض اليهود لبث
الفتنة كعبد الله بن سبأ ..

وتواترت الأحداث وكانت المحراب بين المسلمين في عهد الخليفة الرابع
علي بن أبي طالب ، وانصدع بناء الجماعة وانقضت عري الوحيدة بينهم ،
وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة ، واقترب الناس إلى شيعة وخارج
ومعتدلين ..

٣ - حملة المشاعل :

يرى الشيخ أن هذه الخلافات السياسية لم تقف في سيل الدعوة
الإسلامية ، ودخل الناس في دين الله أنفوا جائراً في الأطراف النائية عن
مثار النزاع ..

واشتغل العلماء بأصول العقائد والأحكام اشتغالاً يحرص فيه على
النقل ولا يهمل فيه اعتبار العقل ، ولا يغفل فيه من نظر الفكر .. ومن
أشهرهم الحسن البصري ..

وكان أول مسألة ظهر فيها الخلاف مسألة الاختيار ، واستقلال الإنسان بارادته وأفعاله الاختيارية . ومسألة من او تكب الكبيرة ولم يتتب ، ثم امتدت الخلافات إلى إثبات صفات المعانى للذات الإلهية أو نفيها عنها ، وإلى تقوير سلطة العقل في معرفة جميع الأحكام الدينية ..

والتحق بالإسلام أناس من كل ملة ، دخلوه حاملين لما كان عندهم من أفكار المانوية وكتب اليونان ، ومن لا دين له من الفرق الفارسية ، فظهر الإلحاد ، وثارت الشهوات ، وتعلمت رموز الفتنة في العهد العباسى ..

وظل الأمر كذلك حتى جاء الشيخ أبو الحسن الأشعري في أوائل القرن الرابع وسلكه مسلكه المعروف ، وسطأً بين موقف السلف وطرف من خالفهم ، وأخذ يقرر العقائد على أصوله النظر .

وارتاب في أمره الأولون وطعن كثير منهم على عقيدته ، وكفروه الخنبلة واستباحوا دمه ، ونصره جماعة من أكابر العلماء كإمام الجويني والإسغريين وأبي بكر الباقلاني وغيرهم ، وسموا رأيه بعذيب أهل السنة والجماعة ..

فأنهزم من بين أيدي هؤلاء الأفاضل قوتان عظيمتان :

— قوة الواقفين عند الظواهر .

— وقوة الغالبين في الجرى خلف ما تزينه الخواطر .

٤ — موقف الفلسفة :

ثم تحدث الشيخ محمد عبده عن مذاهب الفلسفة، وأكّد أن العقل محل التكريم من القرآن والستة، لكن هؤلاء الفلسفة غلبهم أمران :

الأول : الإعجاب بما نقل إليهم عن فلاسفة اليونان ، خصوصاً عن أرسطو وأفلاطون ..

الثاني : الشهوة الغالبة على الناس في ذلك الوقت ، وهو أشأم الأمرين ، زجوا بأنفسهم في المنازعات التي كانت قائمة بين أهل النظر في الدين ، واصطدموا بعلومهم في قلة عددهم ، مع ما انطبعت عليه نفوس السكافة ، قال حمزة العقاد عليهم .

وجاء الغرالي ومن على طريقته فأخذوا جميع ما وجد في كتب الفلسفة مما يتعلّق بالإلهيات واشتدوا في نقدّه ، فسقطت منزلتهم من النّفوس ، ونبذتهم العامة ، ولم تحفل بهم الخاصة ، وكان هذا هو السبب في خلط مسائل الكلام بمسائل الفلسفة في كتب المتأخرين ، كما زرها في كتب البيضاوى والمضند وغيرهم .

٥ — مذهب الاستاذ الإمام :

واتهى الشيخ محمد عبده إلى تقرير هذه الحقيقة :

والذى علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في المقادير ، لا دين تفريق في القواعد .

العقل من أشد أعوانه ، والنقل من أقوى أركانه .. وما وراء ذلك فزغات شياطين أو شهوات سلاطين .

١٠ والقرآن شاهد على كل بعمله ، قاض عليه في صوابه وخطئه ..

(١٣ — القبر)

الإلهيات:

بدأ الشيخ حديثه عن الإلهيات بتقسيم المعلوم إلى ثلاثة أقسام :
مسكن لذاته ، وواجب لذاته ، ومستحيل لذاته ..

وشرح حكم كل قسم وأكد أن المسكن لا يوجد إلا بسبب
ولا ينعدم إلا بسبب ، وأن وجود المسكن يقتضي بالضرورة وجود
الواجب ، ثم تكلم عن الصفات السمعية التي جاءت على لسان الشرع
ولا يحيط بها العقل إذا حلها على ما يليق بواجب الوجود .

ونبه الشيخ إلى أن الفكر في ذات الله وصفاته للوصول إلى حقيقة
الذات والصفات يمتنع على العقل البشري لانقطاع النسبة بين الم موجودين ،
وليس من شأننا أن نبحث في الكيفية ..

ثم انتقل الشيخ إلى الحديث عن أفعال اللهجل شأنه ، وبين أنها صادرة
عن علية وإرادته ، وكل ما صدر عن علم وإرادة فهو عن الاختيار ،
ولا شيء مما يصدر عن الاختيار بواجب على المختار لذاته ، وقسم الفرق
الإسلامية في هذا الجانب إلى فريقين :

١ - فريق بالغ في الإيجاب على الله حتى ظن الناظر في من اعمهم
أنهم عدوه واحداً من المكلفين يفرض عليه أن يجهد للقيام بما
عليه من الحقوق وتأدية ما زمه من الواجبات ، تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً .

٢ - وفريق نفي التعليل عن أفعاله سبحانه وغلا حتى خيل للممعن
في مقالاتهم أنهم لا يرون له إلا قليلاً ، يرمي اليوم ما نقضه بالأمس ..
ويفعل غداً ما أخبر ينقضه اليوم ، أو غافلاً لا يشعر بما يستتبعه عمله
(سبحان ربك رب العزة عما يصفون) .

ويرى الشيخ أن الجميع متلقون على أنه تعالى منزه عن العبث في أفعاله والكتاب في أقواله، وأن وجوب الحكمة في أفعاله تعالى تابع لوجوب الكمال في علمه وإرادته، وأن وجوب تحقق ما واعد وأوعد به تابع لكمال علمه وإرادته وصدقه ..

فلنأخذ ما اتفقا عليه وإنزل إلى حقيقة واحدة ما اختلفوا فيه ..

ثم يلخص الشيخ محمد عبده مسألة أفعال العباد في اتجاهين :

الأول : أن المؤمن يشهد بالدليل وبالعيان أن قدرة مكون الكائنات أسمى من قوى الكائنات ، وأن حوادث الكون بأسره مستندة إلى واجب وجود واحد ، تصرفه على مقتضى علمه وإرادته .

الثاني : أن المؤمن يشهد بالبداهة أنه في أعماله الاختيارية عقلية كانت أو جسمانية – قائم بتصريف ما وهب الله له من المارك والقوى فيها خلقت لأجله ..

وعلى هذين الاتجاهين قالت الشرائع واستقامت التكاليف ، أما البحث فيها وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة علم الله وإرادته ، وبين ما تشهد به البداهة من عمل اختيار فيها وقع عليه الاختيار ، فهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه ، واشتغال بما لا تكاد تصل إليه العقول .

ثم ختم الشيخ محمد عبده مباحثه في الإليات بالكلام عن حسن الأفعال وقبحها وأكد أن الإنسان بفطرته يميز بين الجمال والقبح ، ورأى أنه لا مانع شرعاً أو عقلاً من أن يصل العقل بيانسان ما إلى معرفة الله وصفاته وقدسيّة جلاله ، والفضائل والرذائل التي تؤدي إلى المساعدة أو الشقاء بعد الموت ..

لكن ذلك لن يكون حالاً لعامة الناس ، وقد سلط الله على الإنسان ثلاثة قوى هي الذاكرة والخيلة والتفكيرة ، والناس فيها مختلفون، تباين آثارها عليهم.

وليس في سعة العقل الإنساني في الأفراد كافة أن يعرف من أقه ما يجب أن يعرف ولا أن يفهم من الحياة الآخرة ما ينبغي أن يفهم ، ثم إن من أحوال الآخرة ما لا يمكن لعقل بشري أن يصل إليه وحده ، لهذا كان العقل الإنساني يحتاجا إلى نبي من جنسه ليفهم منه وعنه ما فيه سعادة الدنيا والآخرة .

وقد سماه معينا يستعين به الإنسان في تحديد أحكام الأعمال وتعيين الوجه في الاعتقاد ..

النبوات :

ساق الإمام محمد عبده مجموعة بحوث تحت عنوانين :

• الرسالة العامة .

• حاجة البشر إلى الرسالة .

• إمكان الوحي .

• وقوع الوحي والرسالة .

• وظيفة الرسل عليهم السلام .

وتتكلم في هذه البحوث عن اصطفاء الله لرسله ، وتأييدهم بالمعجزة المفرونة بالتحدي ، ونفي الشيخ أن تكون المعجزة من نوع المستحيل عقلاً ، ودحها خاضعة لناموس آخر طبيعى ، وضعه موجد السكاتات ، غاية ما في الأمر أننا لأنعرف هذا الناموس الآخر ،

وذهب إلى أن النبي عن الأكل من الشجرة وأكل آدم منها كأنهما
زنزان إلى طورين من أطوار آدم عليه السلام ، أو مظواهان من مظاهر
النوع الإنساني في الوجود ١١

ثم شرح أحوال العالم قبل الإسلام وما شابه من مشاكل الوفية
وخلالات الإباحية ، وويلات الحروب ، ودنس الأخلاق ، فكان من
رحمة الله أن أرسل إليهم رجلاً منهم ، يوحى إليه رسالته ، وينفعه عنایته ،
ويهدى من القوة بما يكشف تلك القمم ، قوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه
 وسلم في الليلة الثانية عشرة من ربيع الأول عام الفيل (٢ من أبريل سنة
 ٥٧١ م) .

وتكلم الشيخ عن تواتر القرآن وحفظه وسلامة نصه ، وأكَدَ أن
الإسلام جاء بالتوحيد الخالص ، وحقق حرية الإنسان ، وأنهى على
التقليد ، وصاح بالعقل صيحة أزبجته من سباته ، وحقق الوحدة في الناس
ونص على أن دين الله في جميع الأزمان واحد ، وهو إفراد الله بالعبودية
والاستسلام له وحده بالعبودية ، وطاعتُه فيها أسر به ونهى عنه ، وأن
اختلاف الشرائع بين الأديان الصحيحة — سابقها مع لاحقها — مصدره
رحمة الله ورأفته في إيتاء كل أمة وكل زمان ما عالم فيه الخير للأمة ،
واللامامة للزمان ..

TORI AL-AIDYAN BI-TARIQ AL-INSAAN :

يرى الشيخ أن الأديان جاءت والناس في معرفة مصالحهم في طور
شيء بطور الطفولة للناشئ ، الحديث العمد بالوجود ، لا يألف منه إلا ما
وقع تحت حسه ، ويصعب عليه أن يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وأن
يتناول بذلك من المعانى ما لا يقرب من لمسه .

فلم تخاطب تلك الأديان النامى بما يرقى إليه سلم البرهان ، وسارت بالقوم وهم عيال آله سير الوالد مع ولده فى سذاجة السن ، لا يأتيه إلا من قبل ما يحسه بسمعه أو بصره ..

وانتهى الشيخ إلى أن الإسلام آخر الرسالات وأن محمدًا خاتم الأنبياء لأنه استجمعت للإنسان عند بلوغ وشده — حرية الفكر واستقلال المعلم وما به صلاح السجايا واستقامة الطبع ، ولم يدع أصلًا من أصول الفضائل إلا أتى عليه ، ولا أمة من أمميات الصالحات إلا أحياها ، ولا قاعدة من قواعد النظام إلا قررها .

انتشار الإسلام:

وتحدث الشيخ عن انتشار الإسلام بسرعة لم يهد لها نظير في التاريخ لما امتاز به المسلمون من حدل وما في دينهم من عقل ..

ثم أورد شبهة تلخص في أن المسلمين اليوم قد تخلفوا وتفرقوا ، وقدوا سلطانهم ، وصاروا إخوة أعداء . مع أن الإسلام دين الوحدة والرقى والحضارة ..

وأجاب الشيخ بأن الاجتماع الإنساني شاهد بأن الإسلام دواء ناجع ، ظهر نجاحه في كل مراحل التاريخ التي عاش المسلمون فيها حنفاء الله غير مشركين به ..

فالمشكلة تكمن في المسلمين وليس في الإسلام ..

وختم الشيخ رسالته بضرورة التصديق بما جاء به محمد ﷺ بعد أن ثبت بالدليل القاطع أنه نبى يوحى إليه ..

ودعى الشيخ أنه يجب الاقتصار في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر ولا تجور الزيادة على ما هو قطعي بظني ..

ثم أشار إلى مسألتين هما الرؤية وكراامة الأولياء، ورأى أن الخلاف في الرؤية يمكن أن يزول لأن كلا الفريقيين يمنع الرؤية البشرية المعاودة بحواسنا المعتادة.

ورأى الشيخ أن مجرد جواز صدور خارق للعادة على يد غير نبي مما تتناوله القدرة الإلهية ، ليس موضع نزاع مختلف عليه العقلاء ، ولا يجب شرعا الاعتقاد بوقوع كراامة معينة على يد ولـى الله معين ..

وذهب الشيخ إلى أن شرط صحة الاعتقاد أن لا يكون فيه شيء يمس التنزيه وعلو المقام الإلهي عن مشابهة المخلوقين .

فإن ورد ما يوم التشابة في متواتر وجب صرفه عن الظاهر إما بتسليمه في العلم بعنه مع اعتقاد أن الظاهر غير مراد ، أو بتأويل تقوم عليه القرآن المقبولة .

• • •

ولنا ملاحظات :

أولاً : إن رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده خلاصة فكره وليس دراسة بحث ، فهي رؤية نقدية تقدم رأى الشيخ في قضيـاـ الخلاف المقدى بين المسلمين .

أما الدراسة وتفصيل المذاهب واستعراض الأدلة والترجيح بينها فلم يعمد إليه الشيخ ولم يحصر عليه .

ولهذا تكاد تخلو الرسالة من نصوص القرآن والسنة ١١ والأيات القرآنية الموجودة في الرسالة - على ندرتها - سبق أغلبها على أجهزة التضمين في الأسلوب ، وبعثتها عبر عنه بالخبر دون أن يسبق بكلمة قال الله تعالى ..

أما الأحاديث فقد تقرأ عشرات الصفحات ولا يصادفك شئ منها .

ثانيا : شئ عجب أن يتكلم الشيخ عن رسالة التوحيد فيحصرها في الإلهيات والنبوات ، ويعرض إعراضًا تاما عن السمعيات مع أن الارتباط عضوي وكمال بين هذه الثلاثة .

ووندما عرف الشيخ علم التوحيد أغلق أيضا جانب السمعيات ، وحصر التعريف فيها يجب ويستحب ويجوز في حق الله تعالى وحق رسلاه عليهم السلام .

ولم يأت ذكر لليوم الآخر في طول الرسالة وعرضها اللهم إلا كليات قلائل عند الحديث عن حاجة البشر إلى الرسالة والنبي الذي سماه معينا ، فذكر أنه ليس في سعة العقل الإنساني في الأفراد كافة أن يعرف من الله ما يجب أن يعرف ، ولا أن يفهم من الحياة الآخرة ما ينبغي أن يفهمه ولا أن يقرر لشكل نوع من الأعمال جزاءه في تلك الدار الآخرة .. ثم إن من أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن لعقل بشري أن يصل إليه وحده ، وهو تفصيل المذاائد والألام وطرق المحاسبة على الأعمال .

ثالثا : تأثر الشيخ تأثيرا كبيرا بنظرية تطور الأنواع للفيلسوف الإنجليزي داروين ، وملكت عليه عقله وفكته فلوى نصوصا ، ورفضت أخبارا ، وتناوله مواقف على غير وجهها الصحيح .

فقال عن النهى عن الا كل من الشجرة ومعصية آدم بالا كل منها ..

كأنها ومن ان إلى طور من أطوار آدم عليه السلام أو مظواهان من مظاهر النوع الإنساني في الوجود .. !!

وقد فصل موقفه هذا تفصيلا تاما في تفسيره لسوارة البقرة ، وتجرأ بحراً كبيرة على عالم الملائكة والجن والإنس ..

كما أن دعواه بأن الأديان ترقى برقي الإنسان وأن البشرية بدأت بالسذاجة والحس وانتهت إلى العقل والرشد - هي دعوى متأثرة بنظريات تطور المقيدة عند الغربيين، وهي تصادم الدين والعقل والتاريخ..

فالدين هو الدين في بده الإنسانية وفي ختامها، أصوله واحدة ، واستنهض الوسل في كل زمان ومكان العقل والحس معاً .

ولم يكن الإنسان في فترة من التاريخ فاقدا للعقل أو بلا وعي فكري دراسة تاريخ الحضارة في مصر القديمة وببلاد الرافدين والمهد والصين توكلد عمق العقل الإنساني الذي صاغها.

رابعاً : المدف الذي سعى إليه الشيخ في رسالته هو تعاظز نقاط الخلاف وتجمیع الكلمة حول جوانب الاتفاق ..

ورأى الشيخ في كثير من مباحثه أن الخلاف نشأ من غلبة التعصب وعدم صدق الرؤية .

وشبه الفرق المتخالفة بالإخوة الأعداء ووصف اختلافاتهم بمقابلات الحق الذين اختبطوا اختباط إخوة تفرقوا بهم الطرق في السير إلى مقصد واحد ، حتى إذا التقوا في غسق الليل صاح كل فريق بالأخر صحة المستخبر ...

فقط كل أن الآخر عدو يريد مقارعته على ما يده ، فاستحر بهم القتال ولا زالوا يتجلدون حتى تساقط جلهم دون المطلب .

ولما أسرى الصبح وتعارفت الوجوه رجع الوشد إلى من بقى وهم الناجون ..

ولو تعاونوا لتعاونوا جميعاً على بلوغ ما أملوا ، ولو اقتصرت النهاية لأخوانا ، بنور الحق مهتدين^(١) ..

خاتمة

وإلى هنا نكون قد مهدنا لدراسة العقيدة الإسلامية ؛ وقدمنا آفاقاً
البحث والنظر ، وعرفنا أهمية دراسة العقيدة ، ومباحثها ، ونشأة العلم
وتطوره ..

وقررنا منهج الإسلام في تأسيس اليقين ، وتأصيل الإيمان ..

وأكدنا أن العقيدة الإسلامية صوت الفطرة ، ودعوة الأنبياء ،
والدين الخالص لله رب العالمين ..

وعرضنا نماذج لمؤلفات قدمها العلماء لدراسة العقيدة ..

وعلينا أن نواصل مسيرة العطاء العلمي ، وعسى الله أن يسر لنا
دراسات في الإلهيات والنبوات والسمعيات ، وأن ينفع بها ، وأن يجعلها
خالصة لوجهه الكريم ..

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ..

كتب للمؤلف

في العقيدة

- ١ - في نور العقيدة الإسلامية.
- ٢ - أدب الحديث عن الله.
- ٣ - علم التوحيد للشهادة الإعدادية الأزهرية.
- ٤ - التهديد في دراسة العقيدة الإسلامية.
- ٥ - الإلهيات في العقيدة الإسلامية.

في الفلسفة

- ٦ - الروح في دراسات المتكلمين والفلسفه.
- ٧ - المجتمع المثال في الفكر الفلسفي و موقف الإسلام منه.

في الآيان

- ٨ - المدخل للدراسة الاديان.
- ٩ - أصول النصرانية في الميزان.
- ١٠ - أوربا والنصرانية.
- ١١ - المسيح ورسالته في القرآن.
- ١٢ - عبادة الشيطان في البيان القرآني والتاريخ الإنساني ..

في الفرق الإسلامية

- ١٣ - قضية التكفير في الفكر الإسلامي .

- ١٤ — الحوار بين الجماعات الإسلامية.
- ١٥ — مقدمة في دراسة الفرق الإسلامية.

في السيرة النبوية

- ١٦ — الرسول في رمضان.
- ١٧ — الرسول حول الكعبة.
- ١٨ — الرسول والوحى.
- ١٩ — الرسول وقضايا المجتمع.
- ٢٠ — الرسول والموافقات.

في الشريعة الإسلامية

- ٢١ — محاجرة قطبيق الشريعة.
- ٢٢ — نحو دستور إسلامي.
- ٢٣ — أخلاق الأميرة المسلمة.

تحقيق مؤلفات فضيلة الدكتور سيد أحمد رمضان المدير

— رحمة الله تعالى —

- ٢٤ — السنة مع القرآن.
- ٢٥ — السنة المطهرة.
- ٢٦ — إلزام القرآن للهاديين والمليين.
- ٢٧ — دراسات قرآنية.

الفهرست

الصفحة	الموضوع
٣	• المقدمة
٩	• للبحث الأول : بين يدي الموضوع
١١	• أهمية دراسة علم العقيدة
١٢	- العلم بالله تعالى أشرف العلوم
١٣	- بيان العقيدة الصحيحة وإقامة الحججة عليها
١٤	- مواجهة شبهات المبطلين
١٤	- علم العقيدة أساس العلوم الشرعية
١٥	- العقيدة وإخلاص النية
١٨	• مباحث علم العقيدة
٢٥	• أسماء علم العقيدة
٢٥	- علم التوحيد
٢٦	- علم الكلام
٢٧	- علم أصول الدين
٢٧	- علم الفقه الأكبر
٢٨	- علم العقيدة
٣١	• للبحث الثاني : نشأة علم العقيدة وتطوره
٣٣	• مرحلة العهد النبوي
٣٧	• مرحلة الصراع العسكري
٤٣	• مرحلة الصراع السياسي
٤٧	• مرحلة الصراع الفكري
٥٥	• مرحلة العصر الحديث

الصفحة	الموضوع
٥٥	— الاتجاه الأشعري
٥٦	— الاتجاه السلفي
٥٧	— الاتجاه الاعتزالي
٥٨	— كلية أخيرة
٦٣	• المبحث الثالث : الإسلام وتقدير المقادير
٦٥	◦ العجزة العقلية
٧١	◦ أصول التفكير
٧٥	◦ المعرفة والتقليد
٨٣	◦ مصادر العقيدة
٨٣	— العقل
٨٤	— القرآن
٨٥	— السنة
٨٩	— أقوال السلف
٩١	◦ الحكم وأنواعه
٩١	— أقسام العلم
٩٢	— الحكم الشرعي
٩٣	— الحكم العقلي
٩٧	• المبحث الرابع : خصائص العقيدة الإسلامية
٩٩	◦ صوت الفطرة
١٠٠	— ماذا تقول اللغة
١٠٠	— ماذا يرد المنطق
١٠٠	— ماذا تريد العقيدة
١٠٩	— حديث الفطرة
١١٣	• دعوة الآتنياء

الصفحة	الموضوع
١١٧	• توحيد القرآن
١٢٣	• الدين الخالص
١٢٣	— المراد بالدين الخالص
١٢٥	— مفهوم العبادة
١٢٦	— المعانى البشرية
١٢٧	— نماذج شركية
١٢٩	• آفاق عقيدة التوحيد
١٢٩	— أفق الاسم
١٣١	— أفق العلم
١٣٣	— أفق الوجودان
١٣٥	— أفق الاجتماع
١٣٧	— أفق إله الذكر
١٣٩	• المبحث الخامس : قراءة في كتب العقيدة
١٤١	• التوحيد وإثبات صفات الرب عن وجل للإمام ابن خزيمة
١٤٣	— المؤلف وسبب التأليف
١٤٥	— الصفات الخيرية
١٤٨	— كلام الله تعالى
١٤٨	— الرؤية
١٥٠	— الشفاعة
١٥٠	— حكم من تكتب السكينة
١٥٢	— ملاحظات
١٥٥	• الموقف في علم الكلام لضد الدين الإيجي
١٥٧	— المقدمة
	(١٤ - القيد)

الصفحة	الموضوع
١٥٩	— الموقف الأول: في المقدمات
١٦١	— الموقف الثاني: في الأمور العامة
١٦٣	— الموقف الثالث: في الأعراض
١٦٥	— الموقف الرابع: في الجواهر
١٦٦	— الموقف الخامس: في الإلهيات
١٦٩	— الموقف السادس: في السمعيات
١٧٤	— خاتمة المواقف
١٧١	— تعقيب
١٧٥	• شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز الدمشقي
١٧٧	— تقديم
١٧٨	— قضية التوحيد
١٨١	— نبوة سيدنا محمد ﷺ
١٨٢	— رؤية الله تعالى
١٨٣	— مسائل عقدية
١٨٤	— ملاحظات
١٧٨	• رسالة التوحيد للأستاذ الإمام محمد عبده
١٨٩	— المؤلف وسبل التأليف
١٩٠	— المقدمات
١٩٠	(أ) علم التوحيد ومنهجه
١٩١	(ب) حصر الخلافة
١٩١	(ج) حلة المشاعل
١٩٣	(د) موقف الفلاسفة
١٩٢	(هـ) مذهب الأستاذ الإمام

الصفحة	الموضوع
١٩٤	— الإلهيات
١٩٦	— البوار
١٩٧	— ترقى الأديان برقي الإنسان
١٩٨	— انتشار الإسلام
١٩٩	— ولنا ملاحظات
٢٠٣	• خاتمة
٢٠٥	• كتب للمؤلف
٢٠٧	• الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب

م ١٩٩٨ / ١٧٤٨٥

L.S. B. N.-977 - 19 - 7802 - 0

ف ١٢ / ٧١ ١٩٩٨ /

Biblioteca Alexandrina
National Library & Archives



0285998